رواية

محمد الناصر

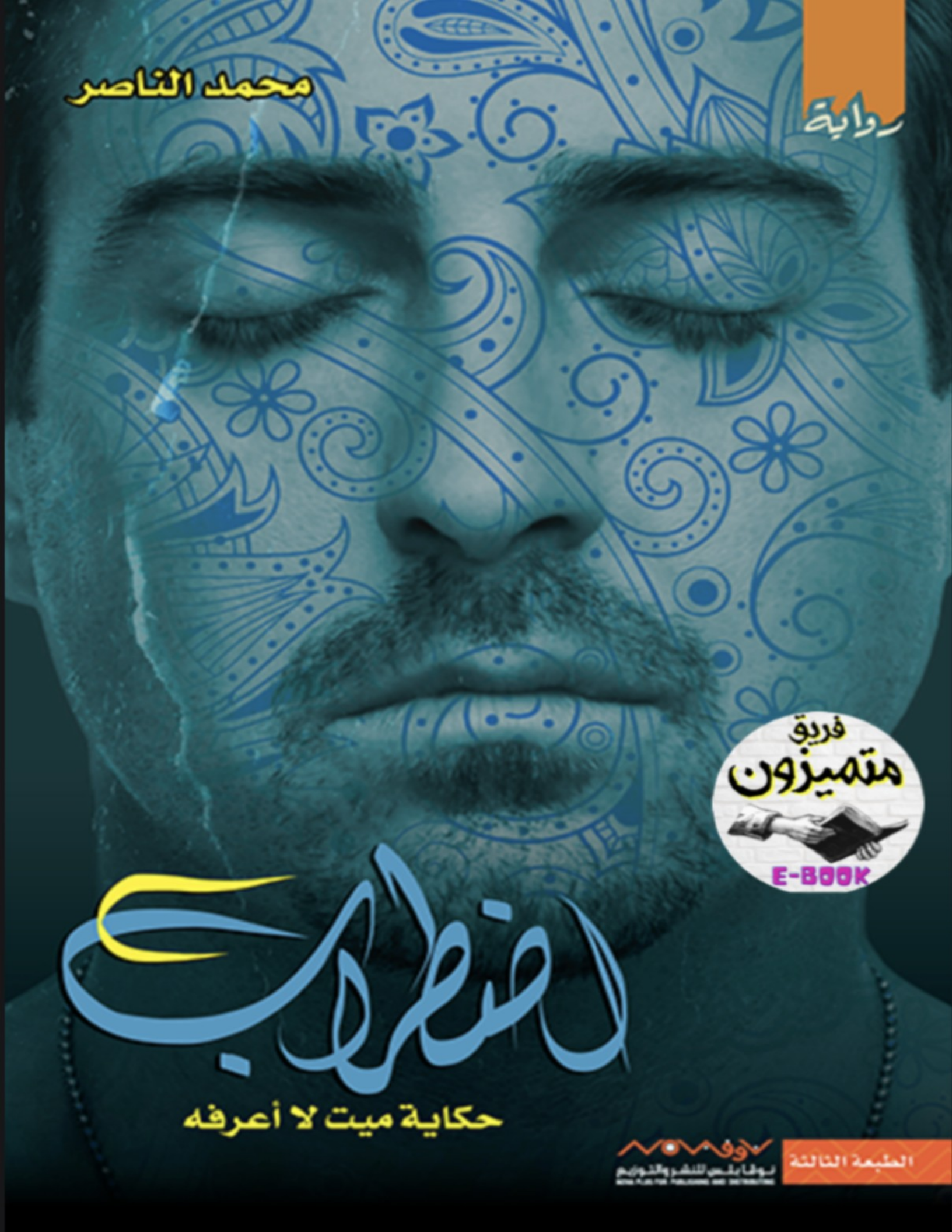

اضطراب

حكاية ميت لا أعرفه

الطبعة الثالثة
نوفا بلس للنشر والتوزيع

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

إضطراب

محمد الناصر

عن الكتاب..

تدور أحداث القصة حول الشاب طارق الذي يقضي مرحلة العلاج التأهيلي بعد خروجه مِن حالةٍ نفسيةٍ شديدة, ليتعرَّف في فترة العلاج على إحدى الفتيات التي تنهي حياتها منتحرة؛ ليُصدَم َطارق ويدخلَ في حالةٍ نفسيةٍ شديدةٍ وجديدة ما بين شوقٍ وفضولٍ، شوقٌ لحبيبته الميتة، وفضولٌ يدفعه للبحث عن السبب وراء انتحارها، ليدلَه أحد الأصدقاء عن كتابٍ ذي مميزات غريبة وخارقة، ليكتشفَ بعدها طارق العديدَ مِن الأسرار, ويدخل ببعض المغامرات غير المحسوبة. فماذا سيكشفُ الكتابُ لطارق؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إهداء

لكلِّ مَنْ جعلنا نبتسم، لكلِّ مَنْ مَنَحَنا الثِّقة،

لكلِّ مَنْ هَزَمَ بداخلنا اليأسَ.

هل تريدُ معرفة نفسك وحقيقتها؟

فَتِّشْ عنها بالصَّفحاتِ الآتية

مقدِّمة:

قرَّائي الأعزَّاء، تعدُّ هذه الرواية هي الأولى لي، والتي أكتبُها بمجال الأدبِ الحرِّ الذي لا يعتمدُ على قوانين علميَّة أو نواحٍ طبيعيَّة، فقمتُ بدمج الخيال الحرِّ مع الواقع الافتراضي النفسيِّ. هي تجربتي الأولى بهذا المجال الواسع، وأتمنى ألَّا تكون الأخيرة، صدِّقوني عقلي هو َمن يُلِحُّ عليَّ كتابة هذه الرواية التي سطَّرها لي خيالي، وأعلم جيِّدًا إنَّ سؤالًا واحدًا سيدورُ في أذهانكم بعد الانتهاء منها: هل هذه الرواية حقيقية؟ هو خيالي اللَّحوح الذي جعلني أكتبُ ما ستقرؤونه، ولكم خالصُ التَّحيَّة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1

يجلسُ إلى جانبي بأنفاسِهِ المُتلاحِقة وكأنَّه قد انتهى للتوِّ مِن سباقٍ طويلٍ، ينظرُ إليَّ بعينيهِ الغائرتين، ووجه الممتلئ، وفيهِ الفاغر دونَ أيِّ ملامحٍ تُذكر، لا أسمعُ سوى أزيزِ شهيقهِ وزفيرهِ، وأنا أراقبُ تلك الشعيرات التي انتشرت على بعض المساحات الشاسعة على صلعته.

ثوبُهُ أبيضُ فضفاضٌ يحاولُ مِن خلاله إخفاءَ تلك التضاريس اللحميَّة التي غَزَتْ كلَّ أنحاءَ جسده، يتحرَّكُ ببطءٍ شديدٍ كأنَّهُ جبلٌ جليديٌّ يستعدُّ للانهيار!

إلى جانبه علبةٌ مِن مشروبهِ الغازيِّ المُفَضَّل، يرتشفُ مِنه بين الفينةِ والأخرى، ينظرُ إليَّ مجددًا بعينيه المُحاصَرَتَيْن بالشحوم، ومِن دون مقدِّماتٍ تُذْكَر باغتُّهُ بسؤالٍ سريعٍ قائلًا:

- هل أحضرتَ معك الكتاب؟

أجابني ببرودهِ المعتاد:

- اطمئن، كلُّ شيءٍ موجود.

ثم نظرَ مُتظاهِرًا بالتعاطف، وأردف قائلًا:

- يا لَهُ مِن حَظٍّ عاثر! تغيبُ طوال هذه الفترة، وعندما نلتقي أراكَ بهذه الحالة البائسة.

هززتُ رأسي بأسىً، وقلت:

- الأقدارُ لها طقوسها الخاصة بالتعامل مع البشر، لقائي معك بهذا الوقت مِن الممكن أنْ يُخَفِّفَ عنِّي تلكَ الأحزان التي أثقلتْ ظهري منذُ وقتِ فراقها.

ابتسمَ ابتسامةً مُزَيَّفةً بوجههِ العريضِ، ثم قال

- قبل إعطائك الكتاب لا بدَّ مِن شرحٍ تفصيليٍّ للأسبابِ التي دعتكَ إلى الاستعانةِ به، وبعدَ معرفتها سأقولُ لك كيف يعملُ هذا الشيء الغريب.

هززتُ رأسي أحاول تجميعَ كلَّ الأفكار وترتيب الأحداث التي حصلتْ منذ وفاةِ آمنة إلى هذا اليوم.

- القصَّةُ يا سعد لا يوجدُ بها ما يلفتُ الانتباه كثيرًا، إلا بعض الحماقات التي ارتكبتُها بعدَ وفاتها، كلُّ ما أعرِفهُ إنَّني كنتُ غارقًا بحب آمنة أبعد ممَّا تتصور، هذه الفتاة قد ملأتْ حياتي كثيرًا بعدما كانت فارغة، تعرَّفتُ عليها مِن خلال أحد الأنشطة التطوعيَّة التي يقيمُها أحدُ المراكز الخاصة بالأعمالِ الخيريَّة، وقد كانت محاولة اشتراكي بها إرضاءً لذاتي؛ لأنِّي لم أعد أشعرُ بأنَّني أقوم

بعملِ شيءٍ ذي قيمة، أو بما يشعرني بالفخر، كما كانت خطوةً أولى للعلاج الذي وصفه لي أحدُ الأطباء النفسيين بعدَ موجةٍ مِن حالة الاكتئاب، وسلسلةِ الخيبات التي مررتُ بها في وقتٍ سابق، وبالفعل فورَ انخراطي بهذه الأنشطة شعرتُ بقيمةٍ نفسيَّةٍ مِن خلال ما أقومُ بهِ مِن أعمالٍ ومساعداتٍ إنسانية.

لا أُخفي عليك، كنتُ أبحثُ عن هيئاتٍ وأنشطةٍ مشابهةٍ كالمجنون، ومِن دون أيِّ تردُّدٍ كنتُ أسجِّلُ في هذه المراكز التي دائمًا ما تشعرني بذاتي، دون أنْ أنظرَ إلى المجهود أو الوقت الذي أبذله أو أهدره بهذه الهيئات، خاصةً إنَّني كنتُ أختلطُ مع العديد مِن الشخصيات المختلفة التي كان أغلبها قد خرجَ للتوِّ مِن أزماتٍ متعددّةٍ ومشابهةٍ، يحاولون إيجاد أنفسهم التي هربتْ منهم، حتى وقعتْ عيناي على آمنة، تلك الفتاة التي مَلَكَتْنِي واحتوَتْنِي؛ بل كانتْ القلب النابض لي، لا أدري كيف أصبحتْ قريبةً مِن قلبي بهذا الشكل الكبير، كلُّ ما أتذكره هو أنَّني أشعرُ بالراحة الكبيرة عندما أراها أو أتحدَّثُ معها.

اقتربتُ منها أكثرَ وأكثرَ حتى صارتْ شغلي الشاغل، لم أعرف عنها الكثير، لكنَّ ذلك لم يكن يهمني، كلُّ اهتمامي كان مُنصَبًّا عليها، على شخصيتها، مرحها، انفعالاتها، حبها الذي بدأتُ أتغذَّى عليه.

بعد ستة أشهرٍ مِن علاقتي بها اتَّخذتُ قرارًا سريعًا؛ إذ أفصحتُ لها عن رغبتي بالزواج بها، وكنتُ أظنُّ أنَّها ستوافقُ عليه مباشرةً كون كلّ فتاةٍ تنتظرُ ممَّن تحبُّ هذا الطلب الذي تحلمُ به جميع الفتيات.

والمفاجأة هنا .. رفضُها الغريب وغير المبرَّر لهذا الطلب بحجَّةِ إنَّنا نحتاجُ مزيدًا مِن الوقت؛ من أجل الانسجام الكليّ كما كانت تقول.

علمًا إنَّ كلَّ الظروف كانت مواتية وجيدة، خاصةً إنَّني في عمرٍ مناسبٍ للزواج، ولديَّ القدرة على فتح منزل، والنقطة الأهم من هذا كله إنَّني لا أعرفُ أيَّ شيءٍ عن ماضيها! كلُّ ما أعرفه فقط حياتها التي رأيتها داخل المركز؛ أما حياتها الخارجية فلم أملك عنها أيَّ معلوماتٍ سوى أنَّها تعيشُ مع والدتها المريضة، ووالدها متوفى منذ صغرها، وإنَّها مرَّتْ بفترةٍ صعبة كونها خرجتْ للتوّ مِن صدمةٍ عاطفية بعد قصةِ حبٍّ فاشلةٍ كانت من طرف واحد حسبما تقول، وكان المركزُ هو المكان المناسب الذي أخرجها من موجة الاكتئاب التي أصابتها.

مرَّ عامٌ على علاقتي بها، وستة شهور على طلبِ الزواج منها، وكانت كلُّ لقاءاتنا داخل المركز المتخصِّص، لا أدري ماذا يحدث معها في الخارج، كنتُ مُغَيَّبًا إلى أبعدِ حدٍّ، أهيم بسحر حبها، أنفِّذُ كلَّ ما تقول دون تردُّدٍ، المهم فقط أنْ أكون إلى جانبها. أصبحتُ كطفلٍ رضيعٍ لا يرتاحُ إلا لرائحة أمه، لا أخفي

عليك، كانت هي الأخرى تبادلني الشعور نفسه، هذا ما كنتُ أحسُّ به، واستمرَّت لقاءاتنا إلى أنْ جاء ذلك اليوم الذي انتظرتُها طويلا لكنَّها لم تأتِ، أمرٌ مُتْعِبٌ فِعلًا عندما يختلُّ توازن يومك المعتاد، عندما تضطربُ إحدى ساعاته! كانت ساعات هذا اليوم ثقيلة، والتوتر والقلق هما من يسيطران على كلِّ قطعةٍ مِن جسدي، وبمثلِ هذه الحالات البائسة يخرجُ لك ذلك الصوتُ البغيض مِن الهاتف عندما تكونُ بأمسِّ الحاجة لتلك المكالمة، وهو يقول لك: (الجهاز مغلق، أو خارج نطاق التغطية)، هذه الجملة تردَّدتْ على مسمعي أكثرَ من ثلاثين مرةً بعد كلِّ مكالمةٍ أقوم بها لها.

كنتُ أوبِّخُ نفسي طوال اليوم مردِّدًا تلك العبارة: لماذا لم أطلب عنوانها طوال الفترة الماضية؟ سألتُ إدارة المركز عن عنوانها لكنهم رفضوا تزويدي به كون قوانين المركز ترفضُ الكشفَ عن أيِّ معلوماتٍ للمنتسبين إلا بموافقتهم.

رحتُ كالأمِّ البائسة التي اعتادتْ على موعدِ وصولِ أولادها في وقتهم المعتاد من المدرسة دون فائدة ! القلق والحزن شيئان غير محسوسين أو مرئيين لكنَّهما يفتكان بالإنسان فتكًا، فيصيبانه بجروحٍ غير نازفة.

رجعتُ إلى بيتي وأنا أجرُّ أذيالَ الخيباتِ، لم تذق عيناي طعمَ النوم، كنتُ أفكرُ وأقولُ لنفسي: لماذا كلّ هذا القلق؟ قد تكون مريضة وستأتي إلى المركز يوم الغد. جاء الغد لكنها لم تأتِ معه.

لم أحتمل أكثر مِن ذلك، ذهبتُ إلى إدارة المركز طالبًا الإفصاح مجدَّدًا عن عنوانها، لكنَّهم لم يتجاوبوا معي، حاولتُ استثارتهم بأنَّ مِن الممكن أنْ يكون قد حصلَ مكروهٌ لها بالخارج دون جدوى.

لا أدري ماذا أفعل، هل أقفُ مكتوف الأيدي؟ مرَّ يومان وآمنة لم تأتِ، يومان وجهازها مغلق، أيُّ حظٍّ سيِّء أمرُّ به؟!

وقبل نهاية يومي الثالث في المركز مررتُ بغرفة الإدارة، ووجدت السكرتيرة تجلسُ وحدها، دخلت عليها، ومن دون مقدِّماتٍ رجوتها أنْ تساعدني ولو بمعلومةٍ صغيرة، لكنَّ الردَّ كان نفسه: ممنوع.

انهرتُ بالغرفةِ باكيًا لا أعلم سببَ انهمار دموعي بهذا الشكل! كيف لشخصيتي المتَّزِنة أنْ تتهاوى أمام السكرتيرة بهذه الطريقة التي لا تربطني بها سوى بعض الاستفسارات بين حينٍ وآخر؟!

نظرتُ إلى وجه السكرتيرة الذي كان متأثِّرًا بي، شعرتُ بأنَّها متردِّدةٌ مِن خلال التعابير التي انصبَّت على ملامحها، ومِن دون سابق إنذار قالت تلك الجملة التي قَلَبَتْ كياني كله، وكأنَّ شيئًا هوى على رأسي:

- آمنة ... توفيت .. لقد أبلغونا ليلة البارحة .. أعتذرُ بشدة عن إخبارك بهذه الطريقة! لكنَّ إلحاحكَ وقلقك أجبراني على ذلك، سامحني أرجوك!

نزلَ النبأُ كالصَّاعقة على رأسي، تجمَّدتْ كلُّ ردودَ أفعالي، لحظةُ صمتٍ رهيبةٍ لم أجد لها نهاية، شعرتُ أنَّ الزمن كلَّهُ توقف لبرهة، ثم عادتْ الأمور كما كانت، بعدها تقدَّمتْ السكرتيرة نحوي وهي تحاول تخفيف وطأة هذا الخبر، لكنَّها صُدِمَتْ مِن ردَّة فعلي بعدما قلتُ لها بجمود وأنا أزيحُ يدها عن كتفي قائلًا بصوتٍ مُتَقَطِّع:

- كيف توفَّيتْ آمنة؟

تراجعتْ قليلًا إلى الوراء وهي تحاولُ ترتيبَ أفكارها، والتحكم في أعصابها، إلا أنَّ نبرتها المرتبكة كانت واضحة، ردَّت قائلةً:

- وجدوها مرميةً أمام العمارة التي تسكن فيها، وكلُّ الأقاويل تؤكِّد إنَّها ماتت منتحرة، بحسب شهادة الموجودين لحظة وفاتها.

لم أجد وقتها أيَّ مبررٍ واحد يعطي آمنة الحقَّ في الانتحار، خاصةً أنَّ كلَّ المؤشرات كانت تقول إنَّها تتعافي نفسيًا من تلك التجربة العاطفية الفاشلة، وإنَّ حياتها هادئة، مَن الذي دفعها لفعل هذا الأمر؟ سألتُ نفسي هذا السؤال كثيرًا بالإضافة إلى العديدِ مِن الأسئلة التي لم أجد لها إجابة.

خرجتُ مِن غرفة السكرتيرة صامتًا أجرُّ قدميَّ جرًّا بخطواتٍ ثقيلة، والخيبات تتساقطُ من خلفي. كانت هذه اللحظات هي اللحظات الأخيرة لي في هذا المكان الذي أصبح بعد ذلك مسرحًا للذكريات الأليمة والجميلة بالنسبة لي.

قاطعني سعدُ وهو يضعُ علبةَ المشروبِ الغازيِّ على الطاولة بعد أنْ ارتشف منه رشفةً قائلا:

- هل عرفتَ لماذا أقدمتْ على إنهاءِ حياتها بهذه الطريقة؟

- نعم، حاولتُ بعد وفاة آمنة بأسبوع زيارة والدتها التي كانت غريبة الأطوار، لأكتشف بعدها أنَّها تعاني مِن مرضٍ نفسيٍّ؛ لأنَّ أغلبَ إجاباتها عن أسئلتي كانت متناقضة وغير مقنعةً، وهذا ما أكَّده لي خال آمنة الذي كان حاضرًا، والذي بيَّنَ لي أنَّ شقيقتَهُ بحالةٍ غير مستقرة.

هنا قلت لسعدٍ بأسى:

- أصعبُ رحيلٍ هو الرَّحيل الذي يحصل دون سبب، رحلتْ دونَ أنْ تتركَ وراءها أيَّ أعذارٍ يا سعد، فضولي وقهري يكادان أنْ يقتلاني مِن الغيظ والشوق!

قال سعد وهو يهزُّ رأسه محاولًا التظاهر بالتعاطف معي:

- عسى أنْ يعوِّضك الله بالأفضل، (والحيّ أبقى من الميت).

قلتُ له بعد أنْ تنهَّدتُ تنهيدةً طويلةً:

- لم تنتهِ الحكاية عند هذا الحدِّ؛ لأنَّني دخلتُ في نوبةِ شوقٍ واكتئابٍ وفضولٍ... أعيشُ بحالةٍ فوضويَّةٍ، أسهر طوال الليل، وأحوالي النفسية والجسدية تغيَّرت، وجهي شاحبٌ، وفقدتُ الكثيرَ من وزني، لم أعد أهتمُّ بمنظري الخارجي، لحيتي غطَّتْ نصفَ وجهي، وشعري بدأ يطول دون انتظام، قليل الكلام...أصبحتُ كرجلِ الكهف، ولولا حركةُ جفنيَّ لظنُّوا أنِّي تمثالٌ صنعهُ نحَّاتٌ فاشِلٌ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2

الحبُّ يتظاهرُ بالجمال دائمًا لكنَّهُ يفتكُ عندما يسيطر، وهذا ما حصل لي، الحبُّ دمرني، يأتي جميلًا في البداية ثم يَعتَصِرُكَ عصرًا، ولا يبقي منكَ إلا القليل مِن الحياة، أنا بهذه الدنيا أتنفس فقط!

نظر إليَّ سعد وهو يحاولُ تخفيفَ ألمي الذي بدا ظاهرًا له مِن خلال كلماتي وهو يهزُّ رأسه ساعيًا لتغيير ملامح وجهه، متظاهرا بالتعاطف وفهمِ كلّ ما أقوله، مع أنَّي متأكِّدٌ مِن أنَّه لا يشعر بأيِّ آلامٍ من الآلام التي عشتها خلال الفترة السابقة.

أكملتُ حديثي:

- صرتُ كالمجنون أبحثُ عن أيِّ وسيلةٍ توصلني بها أو تجعلني أتحدَّثُ معها، شوقي لها يقتلني كلَّ يومٍ ألف قتلة، بينما هناك سؤالٌ واحدٌ مستعِدٌّ أنْ أدفعَ روحي لمعرفة إجابته، لماذا انتحرت آمنة؟ كنتُ دائمًا أوبِّخُ قلبي وأحدِّثُهُ بغضبٍ قائلًا:

- أيُّها الغبيُّ، الموتى لا يعودون، أرجوك يا قلبي انْسَها! لكن دون فائدة، هناك شعورٌ لا أعرف كيف أسيطرُ عليه، يدفعُني بكلِّ قوته لها، أتمنى وقتها لو إنِّي أراها وأحكي معها ولو حديثًا واحدًا، وبعدها ليحصل لي ما يحصل! لا أعلم أي حبٍّ وشوقٍ سيطرا عليَّ من ناحيتها، هل الفراغ والسخف اللذان كنت أعيشهما قبل أنْ أعرفها هما السبب؟ هل هي ما جعلتني أتعلَّقُ بها كلّ هذا التعلق؟

وكما تعلم دائمًا يقولون ذلك المثل الأحمق: (الغرقان يتعلَّق بقشة).

وكانت هذه القشة هي التصرُّفات الحمقاء التي تصرفتها، وبالتحديد عندما سمعتُ عن طريقةِ تحضير الأرواح، وهو الفخُّ الذي سقطتُ به العديد مِن المرات وبطرُقٍ مختلفة. كان الدجَّالون والنصَّابون يقعونَ في طريقي كالمطر! كنتُ كلَّما أحتاج إليهم أجدهم أمامي.

يأخذونني إلى أماكن سحرهم، ويقومون بعملِ تلك الطقوس الغريبة، فتحدث هناك بعض الأمور المخيفة، لكنَّ النتيجة سيئة، لا أشعرُ إنَّني تواصلتُ معها لا مِن بعيدٍ ولا مِن قريب. كان أحدهم يقول لي بعد قيامه بتجهيز تلك الطقوس المضحكة: عشْ أجواءً روحانية، اندمج مع العالم الآخر...

ويردِّدُ تلك الكلمات غير المفهومة، ويقول بهدوءٍ وثقة:

- إنَّها موجودةٌ معنا الآن في الغرفة، تفضَّل تحدَّث معها.

كنتُ أشعرُ في البداية أنَّها موجودةٌ، لكنَّ هذا الشعور لا يلبثْ أنْ يزول رويدًا رويدًا؛ لأنَّني كنت أشعر بها بقلبٍ عاشقٍ، كلُّ ما كان يقومُ به هذا المشعوذ دجلٌ بدجل، كلُّ ما كان يريده هو دنانيري.

كنت أتمنى امتلاك تلك القوة والجرأة اللتين تجعلاني أصرخ في وجوهِ هؤلاء، وأقول لهم: أنتم مجرَّد لصوص أنيقين، تعرفون جيِّدًا كيف تأخذون مالي وأنا أبتسم.

بعدها أخرجُ من عندهم متظاهرًا أمامهم بالفرح والنشوة، كوني استطعتُ الحديثَ مع حبيبتي المتوفاة! لكن في قلبي ما تزال نيران الشوق مشتعلة لا تنطفئ،

لأوقف بعدها كلَّ هذه المهازل وأنطوي على نفسي في غرفتي، أعذِّبُ روحي، وتعذِّبني بين تلك الحيطان!

وذات ليلةٍ وأنا في مستنقعِ يأسي وشوقي جاءتني فكرة- ربما هي بالنسبة لي آخر المحاولات، وربما هو اليأس يريد القيام بتلك المهمة التي تعدُّ الأخيرة- وقلتُ في نفسي: لمَاذا لا أقومُ أنا بتلك العملية؟ لماذا لا أقومُ بجلب روحها؟ أنا الآن مُلِمٌّ بجميعِ الطقوس الخاصة بتلك الأشياء التي مِن الممكنِ أنْ تساعدني بإيجادِ إجابةٍ لكلِّ الأسئلة التي تعجُّ في رأسي. قمتُ بالاتصال بصديقين، وطلبت منهما الحضور، كان الاثنان يتمنيان تقديم أيّ خدمةٍ لي، كما يعدُّ وجود ثلاثة أشخاص على الأقل شرطًا أساسيًّا؛ لإتمام تلك المهمة، وبعدَ جُهدٍ كبيرٍ أقنعتُ الاثنين أنَّ الأمرَ لن يتجاوز سوى ساعةٍ واحدةٍ، ورحتُ أشرحُ لهما وأطَردُ تلك الفكرة السيئة والمخيفة التي كانا يعرفانها عن هذه الظاهرة.

أحضرتُ الطاولة المستديرة، وأجلستُ صديقيَّ، أحضرتُ الشموعَ ثم أطفأتُ الأنوار، بعدها وضعتُ يديَّ بأيديهم، وشكَّلنا حلقةً دائريةً مترابطةً، وطلبتُ منهما التماسك وعدم الخوف من أجل إتمام المهمة بنجاح.

هنا أغمضنا أعيننا جميعًا، الغرفةُ مظلمة، الإنارةُ تتركَّزُ فقط في فتائل الشمعات الستة التي وضعناها على الطاولة، ترقُّبٌ وقلقٌ كنتُ أشعرُ به في قلبَي صديقيّ، قطعتُ هذا الصمت المرعب بتلك الكلمات:

- آمنة ... آمنة .. هل أنت موجودة؟ أخاطِبُكِ بكلِّ حواسي وشوقي وروحي، أنا المدعو: طارق بدر، صديقك الذي عرفته قبل أكثر مِن عام، وأحبَّكِ مِن كلِّ قلبه، يتمنَّى وجود روحك الآن بيننا!

عمَّ الصمتُ مِن جديد فور إنهاء جملتي، قطعته مجدَّدًا:

- آمنة، إذا كنتِ موجودة أجيبيني.

عاد الصمتُ مجدَّدًا، فتحتُ عينيَّ، لم أرَ سوى لهيبِ الشمعِ يتراقصُ أمامي، بينما كان صديقاي يغمضان عينيهما بشدة، وكنت أشعرُ برجفة يديهما المرتعبتين. وما إنْ مرَّتْ ثوانٍ معدودة حتى كررتُ المحاولة، لكن هذه المرة زدتُ على الجملتين بعضَ الكلمات

- إذا كنتِ موجودة اطرقي طرقتين.

راح الصمتُ يلفُّ أجواءَ الغرفة، كنتُ متحفِّزًا لأيِّ حركةٍ أو همسةٍ مِن الممكن أنْ تدبَّ في الغرفة، هذه المرة لن أخدعَ نفسي.

أغمضتُ عينيَّ مجَّددًا وأنا أركِّزُ بملامحِ وجهِهَا الذي ارتسم الآن بمخيلتي، وكلُّ حواسي بهذا الوقت تستحضرها، لكن لا أدري ما الذي حدث بعدها، كأنَّ شيئا هزَّ قلبي!

- آمنة، إذا كنتِ موجودة اطرقي طرقتين.

وفور انتهائي من الجملة التي كررتها للمرة الثالثة سمعتُ هزةً قويةً حرَّكت الدولاب الذي كان ينتصبُ خلفي.

هنا شعرتُ بقليلٍ من الرعب، لا أعلم ما الذي يحدث!

- آمنة، هل أنت موجودة الآن في الغرفة؟

قلتها، لكن هذه المرة ببعضٍ من الخوفِ والرَّعشة!

فتحتُ عينيَّ رأيت وجهَيْ صديقَيْ اللذين دبَّ فيهما الذعر.

شعرتُ لحظتها أنَّ هناكَ شيئًا معنا داخل الغرفة، هل هي آمنة أم غيرها؟ رحتُ أتلفَّتُ يمينًا وشمالًا أتحسَّسُ بدقةٍ كبيرةٍ المكانَ، بينما حاول صديقاي التماسك، لم أشعر وقتها إلا بالطاولة التي أمامنا تتحرك ثم ارتفعتْ قليلًا، وسقطت الشمعات عنها، انطفأ بعضها، بينما تساقطت الأخريات على الأرض.

حالةُ ارتباكٍ كبيرة تجتاحنا، جثوتُ على ركبتي أطفئ الشمعات التي ما تزال مشتعلة خوفًا من حدوث حريق، أنفخُ عليها بكلِّ قوة وتفكيري يجول في الغرفة، وذلك الشيء الذي لا أعرف ما يكون، والتردُّد بداخلي يتحدَّثُ ويقول: هل هي آمنة؟ أيُعقَلُ إنِّي نجحت في جلب روحها بهذه السهولة؟

اختفى صديقاي، ووسط هذه الفوضى والظلام كنتُ أسمعُ أصواتهما المذعورة وهما يريدان الهروب.

وبعد إطفاء آخر شمعة عمَّ الظلامُ بكلِّ أرجاء المكان، لا أدري ماذا أفعل، نهضتُ متحسِّسًا المكان أمامي أريدُ الوصول إلى مفتاح الإنارة، لكنَّني كنتُ أرتطمُ ببعضِ الأثاث الموجود وسط الظِلام، وبينما كنت أسير شعرتُ بنافذة

الغرفة وهي تُفتَح والهواء الخارجيّ يتدفّقُ بكلِّ قوة، صرخ أحد صديقي وهو يطلب مني إنهاء هذا الوضع بسرعة، رحتُ كالملسوع ناحية المفاتيح أضع يديَّ على الحائط أحاول تحديد دربي إلى أن وصلتُ إليه، وما إنْ فتحتُ الضوءَ حتى انتصب شعرُ جسدي، الغرفةُ مبعثرةٌ بالكامل، الأثاث بعضه فوق بعض، ستائر النافذة تتطاير، لا أدري ما الذي حصل، ولم كلُّ هذه الفوضى؟ كأنَّ فيلًا كان يجول هنا قبل ثوانٍ، وبعدها هرب من النافذة تاركًا وراءه كلَّ هذا الدمار! كادت عينا صديقي أن تخرجا من محجريهما خوفًا، سرتُ بخطواتٍ بطيئة إلى أنْ وصلتُ ناحية الطاولة التي كنت أجلسُ إلى جانبها قبل قليل بكلِّ ترقُّب، وهذه المرة كانت هناك ورقةٌ مقلوبةٌ عليها، مددتُ يدي ناحيتها بحذرٍ لا أدري مِن أين أتت، قلبتُها.. المفاجأة أنَّ أحدهم كتب عليها تلك الجملة التي أفجعتني:

- أيُّ خطوةٍ إلى الأمام؛ ستقع، وإنْ وقعتَ؛ سيُكَشَفُ المستور.

كان الخطُّ بشعًا جدًّا، وكأنَّ طفلًا قد كتبه بقطعةِ فحم، بالكاد تستطيع تبيان كلماته.

لم أفهم المقصود من تلك الكلمات، والأهمُّ مِن ذلك لا أعلم مَن كتبها؟ هنا أخذتُ الورقةَ وخرجتُ مسرعًا من الغرفة، وكلُّ قطعة من جسدي يدبُّ فيها الخوفُ.

قرأ صديقاي الكلام الموجود على الورقة، ثم تراجعا يودَّان الخروج من منزلي بأسرع وقتٍ ممكن، وبينما كنتُ مشدوهَ البال أفكِّرُ بالذي حصل قبل ثوانٍ، نطق صديقي بجملة وهو بحالة ارتباكٍ قائلًا:

- هل الروح التي جلبتها طيبة؟

نظرتُ إليه بسرعة خاطفة، وقلتُ له غاضبًا:

- بالتأكيد، الروح التي خاطبتها طيبة إلى أبعد حدّ.

عمَّ الصمتُ لثوانٍ لم أجد بعدها الغرفة إلا فارغة، تركَ صديقاي المكان ورحلا مذعورين، بينما كنتُ وقتها أفكِّرُ بكلِّ دقة، الروح التي كتبتْ تلك الكلمات مِن الواضح إنَّها ليستْ روح آمنة، يا إلهي! هل جلبتُ روحًا غير روحها؟ إنَّه أمرٌ يثيرُ الخوف. رحتُ أتذكَّرُ كلَّ ما قمتُ به، الشروط قدمتها بكلِّ دقة ودون أخطاء!

كان الذهولُ يرتسم على وجه صديقي البدين سعد، وكلّ حواسه تكاد تنطق.

أكملتُ حديثي قائلًا:

- هل تظنُّ أنَّ الأمر توقَّف عند هذا الحد؟

هزَّ رأسهُ بتردُّدٍ وترقّبٍ دونَ أنْ ينطقَ بكلمةٍ مُنتظرًا مني استكمال الكلام، قلتُ له بهدوء:

- لا يا صديقي، الحوادثُ بعد تلك الليلة لم تتوقفْ، وراحتْ تزدادُ يومًا بعد يوم... أصواتُ أبوابٍ تُفتَحُ وتُغْلَق، اختفاء أشياءٍ مِن حجرتي، ظواهر لم تكن موجودة بالسابق؛ أما الحادثة الكبرى فقد حصلت بذلك اليوم، لم أشعر إلا بتلك الليلة التي اختلطتْ عليَّ الأمورُ فيها، بعد أنْ استيقظتُ مرعوبًا على موجةٍ من الهواء القوية وهي تندفع بقوة داخل غرفتي دون سبب، تفاجأتُ بأبواب الدولاب تُفْتَحُ وتُغلَق؛ بسببِ ذلك التيار الهوائي الذي عمَّ المكان مِن تلقاء نفسه، وكأنَّ أحدهم يريد لفت انتباهي، نظرتُ مندهشًا مما يحدث، أراقبُ بقلقٍ ورعب، فجأةً سقطتْ مِن موجة الهواء التي خفَّتْ تدريجيًّا ورقةٌ سابحةٌ بفضاء الغرفة، وأخذتْ تهبطُ بهدوءٍ ناحية سريري، وعندما أمسكتها كان الخطُّ نفسه الذي كُتبت به الورقة ليلةَ جلب روح آمنة، والتي وجدتها على الطاولة، لكنَّ الجملةَ التي كُتبت بها كانت مختلفةً هذه المرة:

- أيّ بابٍ تفتحه لابدَّ من إغلاقه، نحن الآن داخل عقلك.

نظر لي صديقي البدين، وكان الاندهاش يتناثرُ من عينه، وهو يقول:

- ماذا حدث بعدها؟

قلت له بيأس:

- الرسائل الورقية ما زالت تصلني بأشكال مختلفة، والجمل تزداد غرابة وغموضًا لا أعلم ما الذي فعلته ليلة جلب روح آمنة، وما الخطأ الذي اقترفته وقتها، يبدو إنني استحضرتُ روحًا أخرى، لا أدري ماذا أفعل... أكاد أجن! أريد التأكُّد هل هي روح آمنة أم لا؟!

الحيرةُ تكاد تفتكُ بي، لا أريدُ تكرار أخطاء مع هؤلاء الدجالين الذين يدَّعون أنَّهم يتواصلون مع الأرواح، وبالوقت نفسه أخاف من إعادة تجربة تحضير روح آمنة مجدَّدًا؛ فأزيد الأمور تعقيدًا.

نظر إليَّ بتفكُّرٍ وهو يضعُ يده على ذقنه قليل الشعر، ثم قال:

- كلّ ما قلته غريب بعض الشيء.

أجبتهُ بحسرة:

- وهذا ما دعاني للاستعانة بكتاب صديقك الذي تحدَّثتَ عنه في(قروب الواتس أب)، وقلت وقتها جملتك الشهيرة:

- مَن لديه الشجاعة لاستخدام هذا الكتاب؟

سخر الجميع منك وقتها إلا أنا، فقد وجدتُ إنَّ هذا الكتاب مِن الممكن أنْ يكون هو الحلّ الأمثل لمشكلتي رغم معلوماتي القليلة عنه.

قال لي بكلِّ ثقةٍ:

- الحلُّ موجودٌ بهذا الكتاب، والآن بعد معرفتي بالحقيقة؛ سأقول لك كيف تستخدمه، رغم بعض الغموض والشكوك التي تدور حوله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3

وضعَ الكتاب على الطاولة قصيرة الأعمدة، كنت أنظر إلى غلافه الأسود الذي كُتبتْ عليه بعضُ الكلمات التي تبدو بلغةٍ شرق آسيوية، وفي الوقت نفسه كنت أنظر إليه؛ أريد تفسيرًا لما يقوم به، إضافة إلى أنَّ الكتاب كان سميكا، وأظنُّ إنَّه يتكون من أكثر من (300) صفحة، والأهم من ذلك حالة الكتاب التي كانت جيدة؛ إذ لم تبدُ عليه علامات الترهُّل أو القِدَم.

- اكتب بداخله فقط اسم ميتٍ لا تعرفه، ومن ثم ستدخل عالمَ الأموات.

قالها بحماسٍ كبيرٍ وابتسامةٍ عريضةٍ!

نظرتُ إليه مستفسرًا عن هذه الجملة قائلًا:

- ماذا تقصد؟

استوعبَ بعد ثوانٍ تسرُّعَهُ بالجملةِ التي قالها؛ فاستدركَ الموقِفَ قائلًا:

- الكتابُ يا صديقي هو حَلُّكَ وطريقُكَ لما تُريد، فكما تعلم مُسبقًا إنَّ صاحبَهُ أحدُ الأصدقاء الذين يعشقون الأمور الغريبة، وخاصةً تلك التي تختصُّ بأمورِ ما وراء الطبيعة، هذا الصديق جالَ العديد من البلدان وهو يبتاع تلك الأشياء، ويحتفظُ منها في بيته الذي صار مُتحفًا خاصًّا بتلك الحاجيَّات، وعلى سبيل المثال: لوحة ويجا الشهيرة، وبعض الأحجار والبلورات، وأوراق التاروت، والكتب الغريبة، والكتاب هو أحد تلك الأشياء الغريبة التي اقتناها.

ما تزال الأمور إلى الآن غريبة وغير واضحة بالنسبة لي، قلت له:

- ما دخل الكتاب بحكايتي؟

قال مُتَحَفِّزًا:

- الكتاب ابتاعه صديقي مِن إحدى دول شرق آسيا، مِن أحد المتاجر القديمة كما كان يقول لي، وقصَّتهُ: إنَّ للكتاب طقوسًا غريبة نوعا ما؛ أي إنَّه لابُدَّ مِن كتابة اسم ميتٍ لا تعرفه داخلَ الكتابِ بشروطٍ خاصَّة.

قلتُ له باستغرابٍ:

- وما الشروط الخاصَّة؟

قال بحماسةِ المواصِل:

- أولًا: ألَّا يكون للميتِ صلة قرابةٍ لا مِن قريب ولا من بعيد مع الشخص الذي يريد جلب روحه؛ أي: إنَّك لا تعرفه أبدًا. ثانيًا: ألَّا يتجاوز عمر الميت أكثر من

أربعين عامًا. ثالثًا: ألّا يكون قد مضى على موته أكثر مِن عام. وأخيرًا: أنْ تكون سُمعتُهُ سيئةً جدًا. وبعد وجود الشخص ما عليك سوى كتابة اسمه بعد التاسعة مساءً، وستزورك روحه في الليلة نفسها، وستأخذك إلى عالم الأموات، ومن الممكن أنْ تجعلك تلتقي بروحِ حبيبتك.

قلتُ له مُستفسرًا:

- وهل جرَّبَ صديقك هذا الكتاب مِن قبل؟

ردَّ عليَّ بكلِّ وضوح:

- بصراحة، لا، صديقي لم يجرِّبْ الكتاب، هو فقط يبتاع ويحتفظ بتلك الأمور الغريبة، ولم يقم بأيِّ تجربةٍ على أيِّ شيءٍ يبتاعه، كما تقول يهوى الاقتناء فقط، أو بمعنى أدق، هو جبان ليس لديه الجرأة الكافية لتجربة تلك الخوارق، لكنَّه أكَّد لي معرفته جيدًا بما يقتنيه، ويعرُفُ ممن يشتري تلك الأشياء، ونادرًا ما كان يقع بالفخ أو يقتني شيئًا دون فائدة، وعندما شرحتُ له قصتك أعطاني الكتاب بكلِّ حماسٍ، وطلبَ مني إخباره بالنتائج، وما الذي سيحصلُ بعد ذلك.

هززتُ رأسي بهدوءٍ كأنّي أريدُ استيعاب ما يقول، ورحتُ أتأمَّل الكتاب بعنايةٍ كثيرة، أقلِّبُ صفحاته التي كانت شبه خالية إلا مِن بعض الكلمات التي انتصفت الصفحات بلغةٍ غير مفهومة، قلت له بعد ذلك فجأةً:

- أين أكتب اسم الميت الذي لا أعرفه؟

أخذَ الكتاب منِّي، ثم قام بتقليبهِ سريعًا، بعدها فتحه على صفحةٍ كانتْ فارغة الوسط سوداء الأطراف، وهو يشير قائلًا:

- هنا، اكتب اسمه الثلاثي فقط.

أخذتُ الكتاب مِن يدهِ، بقيتُ صامتًا لدقيقة أقلِّبُ الموضوعَ برأسي، وأحاسيسي من الداخل مضطربة ما بين تصديق ما يقول، أو طرد الفكرة مِن أساسها؛ لأنَّ ما يقوله أمرًا لا يُصدَّق! وأذكرُ أنَّي ما سمعتُ أو قرأتُ أو شاهدتُ شيئًا مثل هذا من قبل؛ لأنَّ الميتَ لا يعود. إنَّهُ خيطٌ واهٍ وضعيفٌ لا أثقُ به كثيرا، لكنَّه الخيطُ الوحيد.

قاطع لحظةَ تفكيري، وقال بحماسه الذي أتى به مع الكتاب:

- أعلمُ جيدًا إنَّ المهمة ستكون صعبةً ومرعبةً بعضَ الشيء، وصعوبتها تكمنُ في البحث عن شخصٍ مات قبلَ أقلِّ مِن عام، وسمعته سيئة، ولم يتجاوز عمره الأربعين عامًا، ناهيك عن تلك اللحظات التي ستعيشها وأنت تتحدثُ مع شخصٍ ميتٍ، المشهدُ بالفعل سيكون في غاية الرُّعب!

لم أهتم كثيرًا لما يقوله، كان كلّ تفكيري ينصبُّ على النتائج، هل بالفعل سيجلبُ هذا الكتاب أرواحَ الأموات كما يقول؟

قلت له بعد أنْ عقدتُ العزم:

- سأنفِّذُ التجربة، فأنا جرَّبتُ سابقًا أشياءً أغرب مِن ذلك، ما الضير في تجربة هذا الكتاب، والبحث عن ذلك الميت الذي لا أعرفه؟

نظر إليَّ سعد بعينيه الغائرتين، وقال:

- الكتاب سيبقى معك، وبعد عشرة أيام سأنتظرك هنا في الوقت نفسه؛ لأرى إذا عمل الكتاب معك جيدًا؛ لأنَّ هناك مَن ينتظرني لمعرفة مدى فاعليته.

بعد ذلك قام يريد الرحيل، ثم التفتَ إليَّ مجدَّدًا قائلًا:

- أوه، كدتُ أنْ أنسى، قبل بداية مهمتك لابُدَّ من وضع علامة (×) قبلَ كتابة الاسم كعلامةٍ على بداية المهمة، ويُفضَّل أنْ تضعها اليوم، ولا تنسَ أنْ تضعَ علامة (×) أيضًا بعد انتهاء المهمة.

هززتُ رأسي دليلًا على فهمي لما يقول، ثم رحلَ بعدها.

بقيتُ دقائق وحدي في المقهى أنظرُ إلى الكتاب وهو ينظر إلي، ثم أخرجتُ القلم الذي كان معي وفتحتُ على أولِ صفحة، ووضعتُ علامة (×) كعلامةٍ على بداية المهمة، أو قبل تنفيذها كما طُلب مني.

....

لم أترك الأمرَ للصدف؛ لذا رحتُ أبحثُ عن ذلك الشخص الذي مِن خلاله نستطيع الدخول إلى عالم الأموات، المصيبة أنَّ الصفات التي أبحثُ عنها نادرًا ما تكون في شخصٍ واحد، فمن بين ألفِ شخصٍ ربما تجدُ شخصًا واحدًا لديه تلك الصفات الصعبة، وأغلب من سألتهم عن أموات لم يمضِ على وفاتهم سنة، كانوا يذكرون صفاتهم الحميدة. من الصعبِ أنْ تجدَ أحدًا يذكر لك مساوئ ميِّت حتى لو كان يعرف ذلك تحت بند: (اذكروا محاسن مواتكم)

تفاجأ أغلبُ مَن يعرفني بتصرفاتي الأخيرة! بزياراتي غير المعتادة للديوانيات، وسؤالي الدائم عن أشخاصٍ ماتوا منذ فترة قصيرة، بمراقبتي صفحة الوفيات يوميًّا، والتدقيق على أعمارِ الموتى، كلُّ شيءٍ كان يسير على عكس ما نريد، تجد أشخاصًا توفوا قبل أقلِّ من عام بعمر الثلاثينات لكنَّ المصيبة أنَّ سمعتهم جيدة، هذا كله لم يُثنِني ولم يجعلني أيأس أبدًا، بصراحة، لم أفقد الأمل... كنتُ عازمًا على إيجاد طريقة توصلني لتطبيق تلك الشروط كاملة، ودافعي الوحيد طبعًا هو حبي الكبير لآمنة، إضافةً لفضولي الذي يدفعني

لمعرفة سبب انتحارها، الأمرُ أشبه بالإبرة التي دائما ما يقولون عنها: إنَّها تتوارى داخل كومة قش!

لا أنكر، لقد بدأ اليأسُ يتسلَّلُ إلى داخلي، خاصةً بعد مرور شهرٍ كاملٍ على عملية البحث والتنقل، لا أنكر، لقد وصلتُ لقناعة كاملة إنَّه يجبُ عليَّ ترك هذا الأمر برمته، إلى أنْ جاءت تلك الليلة التي كنتُ أتصفَّحُ فيها حسابي الخاص على برنامج (تويتر)، وبالتحديد قبل النوم عندما أويت إلى فراشي، أقرأ تعليقات الأصدقاء، أو أشخاص لا أعرفهم، أدقِّقُ بتلك الأخبار السريعة التي تأتي مِن أغلب البلدان سواء كانت قريبة أو بعيدة، أو تبثُّها الصحف أو حسابات إخبارية، إلى أنْ وقعتْ عيناي على ذلك الخبر الذي شدَّني تحت عنوان:

(قاتل .. لص الجثث مجهول)

لم أجد نفسي إلا وأنا أضغط على تفاصيل الخبر، ورحت أقرأه كاملًا.

التحريات قُيِّدَتْ ضد مجهول، بداية الخبر أمرٌ يدعوك للدهشة!

أكملتُ الباقي...

لم تستطع التحريات التي قامت بها الشرطة المحلية الوصول إلى القاتل الحقيقي الذي قام بجريمته الشنعاء بحق المدعو: جلال الشهير بـ (لص الجثث)، ومنذ مقتل الضحية قبل سبعة شهور قامت الشرطة بالتحري بدقةٍ وعنايةٍ كبيرتين، خاصةً إنَّ الجثة كانت مشوهة ومقطعة إلى أجزاء، وهذا على حسب ما ذكرته في تقريرها الأخير، إلا أنَّ كلَّ التحريات كانت تصلُ لطريقٍ مسدود، ولم تكن هناك أدلةٌ كافيةٌ وواضحة؛ لتوجيه الأدلة القاطعة والجازمة لجميع المشتبه بهم، وعلى إثر ذلك أُغلِقَ ملف هذه القضية التي شغلت الرأي العام في الشهور السبع الأخيرة، وتقييده ضد مجهول.

إلى هنا توقفتُ عن قراءة الخبر؛ لأنَّ كلَّ ما تبقى أشياء لا تربطني بها أيّ علاقة، الأمرُ الجميل والرائع أنَّ الخبر قد استوفى الشروط الثلاثة، أولها: سمعة الميت السيئة كونه يقوم بسرقة الجثث، ثانيها: إنَّ موته منذ سبعة شهور تقريبا؛ أما الثالث: إنَّ عمره لم يتجاوز الأربعين، والآن عليَّ معرفة اسمه الثلاثي، ثم بعد ذلك سأحدِّد إذا كان هو الشخص المناسب للعملية، خاصة إنَّه لا تربطني أيّ صلة قرابة أو معرفة سابقة، كلُّ ما أحتاجه الآن هو التحرِّي عن هذا الشخص بدقة، والوصول إلى كافة التفاصيل الأخرى حتى أستطيع القيام بالمهمة الأكبر، وهي كتابة اسمه وسط تلك الصفحة؛ للتأكد من صحة هذا الكتاب الأسود وفاعليته في نقلي إلى عالم الأموات.

في اليوم التالي ومِن دون تردَّدٍ انطلقتُ بسيارتي نحو مقرِّ الجريدة التي نشرتْ الخبر، وعند وصولي طلبتُ مِن العلاقات العامة في الصحيفة مقابلة المحرِّر الذي كتب خبرَ سارق الجثث، وبعد دقائق تقدَّمَ نحوي رجلٌ يبدو إنَّه في أواخر الثلاثينات من عمره، طويل القامة، أبيض البشرة، نحيل الجسم، وبخطواتٍ هادئة اقترب وقال لي فجأةً:

- بماذا أستطيع مساعدتك؟

نظرتُ إليه، ولا أنكرشعور الارتباك الذي أحسستُ به، لكني استطعتُ التوازن وإعادة ترتيب أوراقي من الداخل، فقلت له:

- أعلمُ جيدًا إنَّ طلبي سيكون فيه نوعٌ من عدم اللباقة، لكن لم أجد أيَّ وسيلةٍ أخرى سوى ما أقوم به الآن.

نظر إليَّ بعينين متسائلتين، لكنِّي لم أعطِهِ فرصةً وباغته بالجملة التالية:

- أريدُ معرفة الاسم الثلاثي للمقتول الذي كتبتَ خبرَهُ مساء أمس، أظنُّه المشهور بلقب: (سارق الجثث).

نظر إليَّ مُجدَّدًا بعينين حائرتين، لكن هذه المرة بحدَّةٍ أقلّ، وقال:

- الأمرُ سهلٌ جدًا، لكن هناك سؤالًا يدور في رأسي، أو ربما هو فضول سمِّهِ ما شئت، لماذا تريد معرفة اسم هذا الشخص؟ أتمنى ألَّا يكون بالأمر شيءٌ يثير الشبهة، فأنا كما ترى إنسانٌ مسالم، ولا أريد المشاكل.

ثم أردف كلامه قائلًا بلهفةٍ واضحةٍ:

- يبدو إنَّ وراءكَ قصةً مشوِّقةً وسببًا يستحقُّ المجيء، مع أنَّ هيأتك لا تثير الشبهات أو تشير إلى أنَّك مِن أصحاب السوابق.

أجبته بخيبةٍ ويأسٍ بعدما شعرت بإصراره على معرفة سبب طلب اسم ذلك الشخص:

- قبل إفصاحي عن الأسباب التي دفعتني لطلب اسم ذلك الشخص، لديَّ شرطٌ بسيطٌ أتمنى الالتزام به، وهو عدم الكتابة أو الإفصاح عن الأسباب التي دفعتني إلى ذلك، فالموضوع حساسٌ جدًا، صدقني لو لديَّ حلٌّ ثانٍ لما جئت إليك.

أطلبُ منك هذا الطلب؛ لأنَّ كلّ الشروط موجودة بالمقتول أو كما تطلقون عليه: (سارق الجثث).

ثم بعد ذلك شرحتُ له القصةَ كاملة، منذ بداية معرفتي بآمنة حتى موعد أخذِ الكتاب من صديقي سعد.

وبعد انتهائي من حديثي قال لي بتهكّمٍ واضح:

- أيُعقَلُ لرجلٍ مثلك يبدو إنَّه متعلمٌ وواعٍ أنْ يصدِّق تلك الأشياء؟

قاطعته بقليلٍ مِن الحِدَّةِ قائلًا:

- اسمعني جيدًا، لم أتحمَّل كلَّ هذه المشقة وكلَّ هذه المتاعب حتى أسمع منك هذه المواعظ والحكم، أنا هنا لتنفيذِ مهمة، وبعدها إذا لم يحصل أيّ تطور سأغلِقُ هذا الباب ورائي وابتعد عنه.

أعلمُ جيِّدًا إنَّه لن يفهم أو يشعر بذلك الألم الذي يعتصر قلبي، وذلك الشوق الذي يجتاحني كالأمواج، لن يشعر بألمك سواك!

وضع يده على ذقنه مفكِّرًا، وقال:

- سأوافق على شرطك، وفي الوقت نفسه لديَّ شرطٌ أنا الآخر.

هززتُ رأسيَ مُنتظِرًا معرفته.

قال مستأنفًا حديثه:

- سأتابع معك الأحداثَ خطوةً بخطوة.

فتحتُ عينيَّ بقوةٍ مُعلِنًا عن رفضي لهذا الشرط، تنبَّه لذلك، وتابع حديثه:

- لن أُبلِغَ أحدًا بأيِّ شيءٍ إلا بعدَ موافقتك وهذا وعدٌ مني، كلُّ ما أريده موضوعًا ساخنًا للجريدة فور انتهائك مِن هذا المهمة دون ذكر اسمك.

واختتمَ حديثهُ بصرامةٍ قائلًا:

- لا يوجد عندي شيء أعطيه إياك غير هذا الكلام!

هززتُ رأسي بيأسٍ مُعلِنًا موافقتي، فالأمرُ لا يحتملُ التأخير.

بعدها مدَّ يده على حقيبةٍ صغيرةٍ كان يحملها بيده، وأخرجَ منها هاتفه النَّقَّال، وقال:

- اتفقنا إذا، الآن كلُّ ما عليك هو إعادة جميع ما قلت؛ لأقوم بالتسجيل، مِن باب الضمان لي؛ حتى لا تُخلِف وعدك معي، فأنا الآن الحلقة الأضعف.

نظرتُ إليه بذهولٍ قائلًا:

- إذا كنتَ تريدُ ضمان عدم إخلافي بوعدي، فمن سيضمنُكَ؟

ابتسم بهدوء:

- أنت المستفيد الأكبر مِن هذا كِله، فكِّر بها جيِّدًا.

وبعد إتمامه عملية تسجيله لكلِّ ما قلت وإبرامي العقد الذي كان عبارة عن تسجيل فيديو، أخبَرَني عادل (محرِّر الجريدة) إنَّ اسم الميت (جلال نادر جبر)، المدعو(سارق الجثث)، وذكر لي تاريخ الرجل الإجرامي مُبيِّنًا لي إنَّ السببَ الرئيسيَّ وراء تسميته بـ(سارق الجثث) لم يكن صدفةً؛ بل جاء بعد اتهامه بحفر قبور الموتى وسرقة جثثهم، لكنَّ المدعو (جلال) دائمًا ما يُفلت مِن جرمه، كما أنَّه لم يتم إيجاد دليلٍ دامغٍ على ما يفعله؛ أما بالنسبة لِلَّقب فكان بسبب الصحافة التي نشرت خبرَه به، والمفاجأة أنهم قبل سبعة شهور وجدوا جُثَّتَهُ مقطَّعةً داخل منزله دون معرفة الأسباب الرئيسية وراء ذلك الأمر، ولم تستطع الشرطة توجيه اتهاماتها لأيِّ شخصٍ بعينه، لاسيَّما أنَّ السجل الإجرامي لهذا الشخص مثخنٌ بالعديد من القَضايا التي سُجن على إثرها بوقتٍ سابق، لكن لم يتم تثبيت تهمة سرقة الجثث عليه، رغم تأكيد كلّ المقربين منه بفعلته هذه، كون العديد مِن القبور وُجدت خالية بتلك الفترة، بالإضافة لحرَّاس المقابر الذين كانوا يعطون صفاتٍ قاطعة ومشابهة لهيئة جلال، لكن دائمًا ما كانت تنتهي هذه القضايا بتقييدها ضدّ مجهول. وسارقُ الجثث أحد هؤلاء المجرمين الذين لقوا حتفهم بعدالةٍ إلهية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4

لحظةُ الاقتراب مِن الحقيقة خوفٌ مِن نوعٍ آخر، هذا هو الشعور الذي ينتابني الآن، وبالتحديد بعد عودتي من الصحيفة، التردُّدُ يتلاعبُ بي كرياحٍ إبريليَّةٍ مُتقَلِّبة، أفكِّرُ بجديةٍ في أنّيَ سأبدأ بتنفيذ تلك المهمة وكتابة الاسم اليوم، لكن سرعان ما أتراجع بحجَّةِ إنِّي أريدُ المزيدَ مِن الوقت، والحقيقة إنَّ الخوفَ الذي يتفشَّى بجميع أنحاءِ جسدِي يريدُ مني التأجيل!

وبعد نقاشاتٍ عقليَّةٍ عديدة، غفتْ عيناي، ولم تصحوان إلا على تلك اليد التي تخنقني، استيقظتُ بأنفاسٍ شبه مقطوعة أريدُ تفسيرًا لما يحدث، والأكسجين يكاد ينفد من صدري، وبعد مقاومةٍ عنيفةٍ أرخَتْ تلك اليد قبضَتَها التي أحكَمَتْها على عنقي، رحتُ أتنفَّسُ بقوةٍ وأنا جاثٍ على ركبتي، أنظرُ برعبٍ شديد إلى المكان، شعرتُ لوهلةٍ إنَّ هناك شيئًا يتحرك سريعًا في الغرفة، بخاصة بعد تساقط الأشياء التي بدتْ وكأنه يدور بها، ثم فتحتُ النافذة وكأنَّ هذا الشيء الهلامي قد خرج منها.

قمتُ ببطءٍ شديدٍ محاولاً استيعاب ما يحدث، أريدُ الصعود من جديد والعودة مرةً أخرى إلى السرير محاولًا التقاط أنفاسي، وفور وقوفي وجدتُ تلك الورقة بمنتصف السرير، كانت مثل سابقاتها، لكنَّ الهجوم هذه المرة كان أعنف، اقتربتُ بحذرٍ نحوها، قلَّبْتُها، وكالعادة كانت مكتوبة بذلك الخطِّ البشع والجملة كانت هذه المرة:

- ما تزال مستمرًّا بحماقتك، نحن داخلَ عقلك الآن.

وضعتُ يديَّ على رأسي لا أدري ما الذي يحدُث، وما معنى تلك الرسائل، وما المقصود بتلك الجمل، ما الذي يريد أنْ يَصِلَ إليه هذا الشيء الذي يلاحقني، صرختُ بالغرفة بصوتٍ عالٍ:

- من أنت؟ وماذا تريد؟ إذا كنتِ آمنة أرجوكِ لا تعذبيني كثيرًا!

لا يوجد إلا الصمت الذي عمَّ المكانَ مِن جديد.

قلت لنفسي:

- لا، لم تكن آمنة، إنَّها روحٌ مختلفة، آمنة تُحِبُّني ولا تريدُ قتلي.

الحيرة تكاد تقتلني، والخوف ينهشني، أشياءٌ غريبة تحدث لا أجد أيَّ تفسيرٍ لها، كلُّ تلك المصائب تحدثُ بسببِ عشوائيتي، ودخولي في تجارب لا أنتمي إليها، ولم آمن عواقبها.

هنا عقدتُ العزمَ وأنا أردِّدُ بداخلي: الليلة، نعم الليلة.

وأقصدُ بالليلة: هي كتابة اسم ذلك الميت بالكتاب الأسود، وانتظار النتائج مِن أجلِ حسمِ الأمر.

وبحسب الاتفاق الدائر بيني وبين المحرر الصحفي عادل، اتَّصلتُ به وأبلغتهُ بإقدامي على تنفيذ المهمة، وإنِّي سأبلغه بكلِّ النتائج.

كنتُ أنتظرُ الساعة التاسعة مساءً بفارغِ الصبر والخوف، انتظرتُها بكلِّ التناقضات النَّشِطة التي بداخلي، لكن لم أجد أمامي سوى التنفيذ، أحيانًا أشعر بالوقت يمرُّ سريعًا، وأحيانًا أخرى أشعر به يمرُّ بطيئًا، الوقتُ يمضي ولا يبالي بأحزان ولا بأفراح، يمضي شاقًّا كلَّ حالات الخوفِ والقلقِ والسعادة، يا ليتني كالوقتِ أمضي ولا أبالي!

عقاربُ الساعة تسير الآن وتقفُ عند التاسعة، أمسكتُ الكتابَ بيدٍ مرتجفة، واليد الأخرى تحمل القلم، وفتحتُ الصفحةَ المطلوبة، وكتبتُ اسم (جلال نادر جبر)، أغلقتُ الكتابَ بحركةٍ سريعةٍ ووضعته على الطاولة، وقتها لم أعرف كيف أتصرَّف، هل أجلسُ بالغرفةِ وأنتظر؟ أم أستلقي على فراشي محاولًا النوم؟

أعلمُ جيدً إنَّ الوقت سيمضي بطيئًا كوني أنتظرُ شيئًا، لا أدري كيف أقتلُ هذا الانتظار؛ إذ إنَّ حواسي كلها تكاد تنفجر من الارتباك، لماذا كلُّ هذا الخوف، علما إنَّني خضتُ العديد مِن التجارب السابقة؟

فتحتُ تلفازي الموجود بالغرفة، وخفضتُ صوته محاولًا أن أوحي لنفسي بوجود أشخاص معي بالغرفة، خدعةٌ ذكيةٌ نقوم بها إذا شعرنا بذلك الخوف المبهم.

يمضي الوقت... تمرُّ الدقائق والساعات... والآن هي الواحدة فجرًا، ولم يحصل ما يثيرُ الانتباه. كنتُ مُستلقيًا على سريري أحاولُ عدم التفكير بين مُستَيقِظٍ بطرف عين، وغافٍ بطرف العين الأخرى، والظلام الخفيفُ يحاصرني مِن كلِّ اتجاه، لا شيءَ أمامي سوى نور التلفاز، بدأ قلبي يدقُّ بسرعةٍ كبيرةٍ، شعورٌ يكاد يفجرُ عقلي، صوتُ الرياح الخفيف وهو يضربُ النافذة أسمعه الآن، شيءٌ ما داخل الغرفة، إحساسي لا يخطئُ أبدًا، وكأنَّ هناك مَن ينظرُ إليك خلسةً ثم يختفي، أنفاسٌ تتلاحق، يا إلهي... أشعرُ بها بكلِّ قوة وكأنَّها قريبةٌ مني، لحظة ... ما هذا الذي أشعر به؟ درجة حرارة الغرفة قد تغيَّرت، هل تعطل التكييف؟ لماذا ارتفعت درجة حرارة الغرفة بهذا الشكل؟ أشعرُ إنَّني أختنق، وبينما أنا كذلك تحرَّكتْ الطاولةُ الصغيرة التي بجانبِ السرير مِن تلقاء نفسها، انفجرتْ كلُّ مخاوفي، راح الذعر يتساقط ُمع العَرَق الذي ينزل مِن أعلى جبيني، ثم سمعتُ تلك الجملة:

- طارق بدر.

إنَّهُ صوتٌ ينبثُّ من الغرفة!

نهضتُ مِن الفراش، كلُّ حواسي مُتحفِّزة تريدُ التأكدَ ممَّا سمعتْ، مرَّت دقائق ولم يحدث شيء جديد، شعرتُ بخيبةٍ وظننتُ أنَّه وهمٌ.

- يا مَن ناديتنا من عالمنا غير المحسوس، طارق بدر.

رحتُ أتلفَّتُ في الغرفة، إنَّني متأكدٌ، لقد سمعتُ صوتًا، لا يوجد شيء، نهضتُ مِن الفراش ووقفتُ وسطَ الغرفة أدير رأسي وأنا أقوم بمسحِ العرق الذي راح يتساقط من جبيني، وقلت:

- مَن هنا؟ هل يوجد أحد؟

لا أنكر، أنفاسي تتزايد، وقلبي يدقُّ بسرعةٍ كبيرةٍ...

- مَن دقَّ أبوابَنا لا نرُدُّه، ولنا للسائلِ جوابٌ، البوابةُ قد فُتِحَت.

كان صوته خشنًا مُرعِبًا، كأنَّه يتكلم مِن داخل حفرة، الصوتُ واضحٌ، أشعر به أمامي، لكن لا أرى شيئًا!

ذُعِرْتُ ورحتُ أسيرُ بحركةٍ غير منتظمة داخل الغرفة، وعيناي تكادان تخرجان خوفًا من محجريهما، وقلت:

- ماذا تقصد؟ عن أيِّ بوابةٍ تتحدَّث؟

شعرتُ بأنفاسهِ المتحشرجة، وهو يقول:

- أنتَ مَن استدعاني مِن عالمي، وفتحتَ البوابةَ مِن الكتاب!

قلتُ له بصوتٍ متردِّدٍ وبكلماتٍ مُتقطِّعة:

- تقصدُ .. إنَّك .. جلال نادر .. سارق الجُثَ...؟!

قاطعني بضحكةٍ عالية:

- نعم نعم، هو أنا، لكن ليس بشحمي ولحمي، بروحي فقط.

هنا سقطتُ مِن هول الصدمة والمفاجأة معًا، أطرافي راحت ترتعشُ كلّها، جسدي ينتفض كله، كاد أنْ يُغمى علي مِن هول ما أسمع، ابتلعتُ ريقي، هناك شعورٌ يدفعني إلى الهروب... في وقتٍ سابقٍ كنتُ أظنُّ إنَّني سأموت لو قابلت تلك الأشياء، أيُّ قوةٍ جاءت معي الآن؛ لتجعلني بكلِّ هذا الثَّبات؟ بعدها قلتُ بحذرٍ وخوفٍ شديدين:

- لماذا لا أراك ؟ لماذا لا تريني وجهك؛ حتى تهدأ روحي؟

أجابني:

- ستراني بشعورك وأحاسيسك، نُزِعَتْ أرواحُنا مِن أجسادنا.

بدأت ضرباتُ قلبي تتزايد، وأنا أحدِّثُ نفسي: هل ما أسمعه حقيقيٌّ أم إنَّني ما زلت أحلم؟ قاطعني الصوتُ مجدَّدًا:

- أشعر بخوفك وارتباكك، قبل أقلّ مِن عامٍ كنتُ مثلكَ، روحي داخل جسدي، اهدأ.

قلتُ له بفَزَعٍ:

- كيف لي أنْ أتأكَّد مِن أنك ... جلال؟

أجابَ مُجدَّدًا:

- الأرواحُ لا تكذب.

- ستُحقِّقُ... ما أريد؟

قلتها بتردُّدٍ.

سمعت هنا ضحكته وهو يقول:

- لستُ مارد مصباح حتى أُحقِّقَ أمنياتك، أنا هنا؛ لأفاوض، وقبل ذلك لابُدَّ أنْ أسمعَ طلبك، وبعدها سنرى ماذا سنفعل.

شعرتُ بقليلٍ مِن الرَّاحةِ، وقلت:

- أريدُ الحديثَ مع آمنة ولو خمسَ دقائق، أريدكَ أنْ تجلبَ لي روحها.

عمَّ الصمتُ لثوانٍ، ثم قطعه ذلك الصوتُ الخَشِن:

- قبلَ جلبِ روح تلك الفتاة هناك شروطٌ لابدَّ مِن تنفيذها.

قلتُ له مستفسرًا:

- شروط ماذا؟ ماذا تقصد بهذا الكلام؟

ردَّ وشعرتُ أنَّ نبرةَ صوتهِ غاضبةٌ:

- ألم أقُل لك إنِّي لست مارد مصباح علاء الدين؟ أنا هنا؛ لأفاوض!

عاد الصمتُ مُجدَّدًا، ورحتُ أفكر بحيرةٍ وقلق، أفكِّرُ بتلك الشروط التي يريدُ إملاءها علي.

قاطع ذلك الصمت، وقال:

- يبدو إنَّك غير جاد، وتظنُّ إنَّ ما تقوم به مجرَّدَ لهو، صدِّقني.. هناك عواقبُ وخيمة أكبر مما تتصور، أرني جديتك؛ حتى نعرف كيف نتكلم، وإلا...

قلتُ بخوفٍ وقلق:

- وإلا ماذا يا جلال؟

أجاب بغِلْظة:

- سأريك جانبي الأسود، سأقلِبُ حياتك رأسًا على عقِب، أنا لم آتِ إلى هنا لأعودَ بلا شيء، أنت ستنفِّذُ! العبثُ معنا ليس أمرًا جيدًا، ودخولك لعبة الكتاب ليس أمرًا سهلًا، لن تخرج منها إلا بعد تنفيذ كلّ ما نأمرك به، وبعدها سنحقِّقُ طلبك.

هناك شيْء ثقيلٌ يجثم على صدري، أشعر بانقباضةٍ كبيرةٍ داخله، يبدو إنَّني دخلتُ لعبةً كبيرة، ويبدو إنَّني لم أزن الموضوع وَزنًا جيدًا، كنتُ أظنُّ إنَّها مجرَّدُ محاولة، لكنِّي دخلتُ عالمًا لا أعرف عنه أيَّ شيء، بعدها قلت:

- ما الشروط؟

عاد صوتُهُ إلى الغرفة، وقال:

- هي ثلاثة شروط فقط، ستعرف واحدًا منها الآن؛ أما الشرطان الباقيان ستعرفهما وقتَ التنفيذ.

قلت له بهدوءٍ وترقُّبٍ:

- ما الشرط الذي سأعرفه الآن؟ ولماذا لا تريد أن تُطلِعَني على باقي الشروط بالوقت الحاضر؟

شعرتُ بجلوسِ أحدهِم على الكرسيِّ الذي أمامي، وبعدها خرجَ صوتُ جلال قائلًا:

- الشرط الذي ستعرفه الآن هو ألَّا تسأل لماذا عليك تنفيذ الشرطين: الأول والثاني؛ لأنك فقط ستنفِّذُ ما نطلبه منك بحذافيره، وتنهي تلك المهمَّات بإتقانٍ.

يبدو إنَّني وقعتُ بالفخ، هذا ما قلته لنفسي.

- إنَّك تُحيّرُني يا جلال، وقد تطلبُ أمورًا مِن الممكن ألّا أستطيع تنفيذها.

ردَّ بغضبٍ مِن جديد:

- ستنفِّذُ دون نقاشٍ مادامك دخلتَ هذه اللعبة وطرقتَ عالم الأرواح! ستكون العواقب وخيمة، فكِّر جيِّدًا قبل الرفض.

بقيتُ صامتًا أفكَّر لا أدري ما أفعل...أحسبها في رأسي... هل أوافقه وأنفِّذُ ما يقول، أم أرفض وأرى ماذا سيحدث؟ لحظة.. أنا هنا مِن أجل روح آمنة، ما الذي يحدث؟ ما كلُّ هذا التشابك الذي يحصل هنا؟ قلت له بغتةً:

- كيف أضمنُ ألَّا تخلف وعدك معي؟ أنت الآن مجرَّد روحٍ لا أعرفُ عنها أيَّ شيء. بصراحة، أريدُ ضمان حقِّي، وتحقيق طلبي بالحديثِ مع آمنة ولو لمدة خمس دقائق، الأمر في غاية التعقيد بالنسبة لي الآن.

كانتْ أنفاسي متلاحقة أترقَّبُ ردَّهُ بفارغِ الصبر، ليقطع هذا كله ويقول:

- صدِّقني، طلبُكَ بالنسبة لعالمنا أتفه مما تتصور، ومن الممكن تنفيذه بثوانٍ، عالَمُنا أنقى مِن المكان الذي تعيش به الآن.

هنا خطر في بالي أمرٌ مهمٌّ؛ فقلت متحفِّزًا:

- مادام طلبي تافهًا بالنسبة لك، لماذا لا تقوم أنت بتنفيذ تلك الشروط التي تريدُ مني القيام بها؟

أعلمُ جيدًا إنَّني أقوم باستفزازه، لكن لا يوجد لديّ حيلة سواها حتى أستطيع التأكد من جديَّته في تنفيذ طلبي، ردَّ عليَّ ببروده المعتاد قائلًا:

- ستعرفُ كلَّ شيءٍ بعد تنفيذ ما طلبته منك، هناك أشياءٌ مِن الصعب الكشف عنها في الوقت الحاضر، وستكون واضحةً وضوحَ الشمس بعد إتمام المهمات التي ستعرفها، لا تحاول استفزازي؛ لأنِّي أعلمُ جيدا ما يجول بداخلك من أفكار، وأعلمُ جيدًا إنَّ الأرواح لا تخلف بوعودها أبدا، سأعذرك؛ لأنك تتعامل معنا للمرة الأولى.

لم أجدْ وسيلةً للرد سوى تلك الكلمة التي قلتها:

- دعني أفكر.. الأمر في غاية التعقيد.

عاد صوتُ جلال إلى الغرفة قائلًا:

- بعد بزوغ الفجر ستجد بغرفتكِ خمس ورقاتٍ مرقَّمة، ستفتحُ واحدة واحدة بالترتيب، وتنفذ المكتوب داخلها، صدقني.. كلُّ الأمور ستصبح سهلةً إذا ما تمتعنا ببعض الجرأة، كلُّ الأمور ميسرة إذا لم نفكر إنَّها مخيفة، انتهى النقاش، وغدًا التنفيذ.

عاد الصمت مجدَّدًا لثوانٍ، وبعدها عاد صوته قائلًا:

- على فكرة، الروح التي تتلاعب بك منذ فترة، وترسل لك تلك الأوراق قد تمَّ حبسُها الآن، وسترحلُ للأبد بعد تنفيذِ كلِّ ما أريد، واعتبر هذا الأمر طيبةً من عندي، وأحذِّرُك مجدَّدا من العبث بعالم الأرواح؛ لأنَّه عالمٌ مجنونٌ لن يجلب لك إلا المصائب التي لا تنتهي!

جلست أترقَّبُ أيَّ ردٍّ منه بعد تلك المقابلة غير المريحة.

عاد الهدوء، وعادت لنفسي الطمأنينة التي فُقِدَت قبل قليل، شعرت أنَّ الطاقة السلبية التي مُلِئت بها الغرفة قد خرجتْ، رحتُ أترقَّبُ حديثًا آخر لجلال، لكنه لم يَعُدْ للكلام مرةً أخرى، مرَّتْ دقائق دون أنْ ينبسَ بكلمةٍ، هنا بدأت أنادي:

- جلاااال، أنا لم أعطِك موافقتي.

لم يكن هناك أيُّ جوابٍ منه.

يبدو إنَّني أوقعتُ نفسي بلعبة معقَّدة، أفكر ما تلك المهمات التي سأكون مقبلًا عليها؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5

لا تنظرْ إلى أجسامنا مِن ناحية ضخامتها أو ضعفها، فهي ليست مَن تحمل الهموم، هناك قطعةٌ صغيرةٌ داخل رؤوسنا مكلَّفةٌ بتلك المهمة، لا تستهِن بها.

عقلي يكاد ينشقُّ نصفين؛ بسبب التفكير الذي أتعبني، عيناي لم تذق طعم النوم ولا ثانية، أقلِّبُ الأمر في رأسي من جميع الجهات، وبينما أنا غارقٌ بذلك التفكير المتعِب، رنَّ هاتفي المحمول قاطعًا لحظة العصف الذهني، المتصل: المحرر الصحفي عادل، يعلم جيدًا موعد تنفيذ المهمة، فأنا أخبرته بحسب الاتفاق.

- يبدو إنَّ الكتابَ لم يقم بمهمته بحسب نبرة صوتك، خيبةٌ جديدةٌ يا صديقي؟

قالها عادلٌ محاولًا استفزازي؛ لإخراج كلّ ما عندي.

أجبته بنبرةِ صوتٍ مُتعَبَة:

- الكتاب يعمل جيدًا، وأكثر مما تتصور.

أجابني بحماسٍ شديد، وكأنَّه وصل لما يريد:

- أمعقول ما تقول؟ هل أدَّى الكتاب مهمته؟ هل استطعتَ التحدُّثَ مع روح الميت؟

أعرفُ ذلك الفضول البغيض الذي يصاحب أغلب محرري الصحف.

- تعال إلى منزلي؛ لأحكي لك كلَّ ما حدث، رأسي يكاد ينفجر، الأمر أكبر مما تتصور.

لم أسمع سوى تلك الكلمة:

- دقائق وسأكون عندك، وبعدها أغلق الخط.

لم تمضِ أقل من ساعة حتى دقَّ عادل باب بيتي، وكله لهفة لمعرفة ما حصل معي ليلَة البارحة، حكيت له كلَّ التفاصيل التي دارت مع روح جلال من البداية حتى النهاية،

كانت تعابير وجهه واضحة ومتفاعلة مع كلِّ ما أقوله، يدقِّقُ ويستفسرُ عن كلِّ كلمة أو حدثٍ كنت أقوله وأحكيه، وبالنهاية قال لي تلك الجملة التي أحبطتني كثيرًا:

- كلُّ ما تقوله مثير يا طارق، لكن للأسف لا يوجد أيّ دليل قاطع على هذا كله!

شعرتُ بغضبٍ شديدٍ من ردة فعله المحبطة، فقلت:

- ماذا تعني بكلامك، هل تكذبني؟

تداركَ بسرعةٍ كبيرةٍ وكأنه تنبَّه لما يقول، وقال:

- لا مستحيل، ليس هذا ما أقصد، لكن كما تعلم أنا صحفيٌّ، وإذا نشرتُ موضوعًا دون دلائل فمن المستحيل أنْ يصدقني القارئ.

قلت له ومازلت اشتطُّ غضبا:

- هذا كلّ همك، نشر الموضوع؟! أنت لا تعلم حجم المصيبة التي وقعتُ بها، الأمرُ أكبر مما تتصور، لقد دخلتُ لعبةً كبيرةً يا عادل، لعبة أكبر مني!

صمت عادل ولم يردّ، وعرف حجم المعاناة مِن ردة فعلي وكلماتي التي أطلقتها في وجهه، وبينما أنا كذلك بين غيظي وغضبي من عادل وحيرتي جاءت الخادمة وهي تقول إنَّ أحدهم طرق الباب، وعندما ذهبتْ؛ لتعرف من الطارق، تفاجأت بوجود هذه الأظرف أمام باب المنزل. أخذتُها منها بترقُّبٍ وحذر، كانت خمسة أظرف، كلُّ ظرف كُتِب عليه رقمه بالتسلسل، من واحد إلى خمسة.

نظرت إلى عادل وقلت بدهشة:

- هذا دليلٌ قاطع على ما حدث ليلة البارحة!

قال عادل مستفسرًا:

- ماذا تقصد بكلامك؟

أجبته وآثار الذهول مازالت مرسومة على وجهي:

- جلال بدأ لعبته معي، وسيطلب مني تنفيذ المهمة الأولى، وهذه الأظرف هي إشارة البدء لتلك المهمة الغامضة، وأعتقد أنَّه يفرضها عليَّ فرضًا كوني لم أعطهِ الموافقة،

لكنه قال إنَّه سيرسل المهمة لي بالطريقة التي تراها أمامك الآن.

راح عادل يحكُّ ذقنه وهو يفكر، ثم قال:

- مادام اللعبة قد بدأت دعنا نفتح جميع الأظرف؛ لنرَ ماهية المهمة فنستطيع التعامل معها.

ثم شدَّ الأظرف من يدي يريد فتحها جميعًا، لكنِّي سرعان ما شددتها منه، وقلت له:

- ستفسدُ المهمة بأكملها لو فعلت ذلك، من الشروط الذي فرضها علي جلال (سارق الجثث) هي عدم فتح الأظرف دفعة واحدة، إنما فتحها بالترتيب بحسب الأرقام، وبعد الانتهاء مِن كلِّ خطوةٍ على حدة.

ثم بعد ذلك أخرجت الظرف الذي كُتب عليه رقم (1)، وقمت بفتحه بهدوءٍ وحذرٍ، وأخرجت منه ورقة كتب عليها: اجمع أكبر قدرٍ مِن المعلومات عن المدعو: الشيخ فرحان محسن، يسكن في منطقة (القرين)، وبعدها ذكر العنوان بالكامل، وكتب ملاحظة: هذه بعض المعلومات عنه، والباقي ستقوم به أنت، احرص كلَّ الحرص على إتمام مهمتك بسريَّةٍ تامة.

كانت تعابيرُ الدهشة والذهول واضحةً على وجه عادل، بينما رحتُ أنا أفكر، مَن هذا المدعو الشيخ فرحان الذي يطلب مني جمع معلومات عنه؟ قاطعني عادل وقال:

- يبدو إنَّنا مقبلان على أيام مثيرة وخطيرة في آنٍ معًا، دعني أقوم بتلك المهمة، فأنا صحفي، وهذا من صميم عملي.

بالفعل لم تمضِ أربعٌ وعشرون ساعة حتى جاء عادل ومعه أغلب المعلومات المهمة بشأن المدعو فرحان محسن أو الشيخ فرحان كما يلقبونه، وكانت المعلومات مثيرة ودقيقة؛ إذ تقول: إنَّ الشيخ فرحانٍ متخصصٌ بالأمور الروحانية، ويساعد الناس على حلِّ مشاكلهم من ناحية فكِّ السحر، ومعالجة الممسوس والمسحور والمحسود، وهو رجلٌ يتعامل بالقرآن أو على الشريعة الإسلامية، بينما قالت المعلومات المتناقضة الأخرى: إنَّه رجلٌ كاذبٌ ودجالٌ ومحتال، ويتعامل مع الجن، ويتظاهر أمام الناس بأنَّه رجلُ دين، وكلُّ ما يصبو إليه هو كسب المال.

كان وقتها عادل يجلس معي بالغرفة، وأنا حائِرٌ لا أعرف مِن أين أبدأ تلك اللعبة المريبة والمثيرة بالوقت نفسه، لكنَّ عادلًا قطع كلَّ هذه التساؤلات قائلًا بحماسٍ شديدٍ:

- أظنُّ إنَّنا نفَّذنا الخطوة الأولى بنجاح، كلِّي حماس لمعرفة الخطوة التالية، وأنت تعرف، حان الآن موعد فتح الظرف الثاني.

هززتُ رأسي موافقًا، وأخرجتُ الظرف الثاني الذي كتب عليه رقم(2)،

ورحتُ أقرأ المكتوب داخله، وكان الآتي:

«بعد جمع المعلومات عن الشيخ فرحان، قُم بزيارة منزله وحاول الدخول إليه، حاول أخذ فكرة كاملة عن أعمال هذا الرجل، وطُرقِ تعامله مع الناس، وركِّز كلَّ التركيز على مداخل ومخارج المنزل، واهتم كثيرًا بتفاصيل البيت من الداخل مع الغرفِ، واحفظها جيدًا بذاكرتك من أجل الخطوة الثالثة».

هنا باغتني عادل فجأةً، وقال:

- الآن الساعة الثالثة عصرًا، وأظنُّ أنَّ الوقتَ مناسبٌ لزيارة بيت ذلك الرجل، وجمع معلوماتٍ أكبر عنه.

بصراحة... لم أستطع كبح جماح حماس عادل؛ فوافقتُهُ بسرعةٍ كبيرة، ورغم ازدحام الأفكار في رأسي واضطرابها، إلا أني لم أجد نفسي إلا وأنا داخل سيارته منطلقين نحو منطقة القرين، وبالتحديد إلى عنوان بيت الشيخ فرحان.

وفور وصولنا صُدِمْتُ من الازدحام الشديد، واصطفاف السيارات الكثير! رحنا نسيرُ نحو بيته، وكلَّمَّا اقتربنا منه ازداد الازدحام البشري. بِتنا نشقُّ تلك الصفوف غير المُنظَّمة إلى أنْ وصلنا الباب الرئيسي، كان بيت الشيخ فرحان بحالةٍ جيدة، وليس مِن تلك البيوت القديمة.

هنا قال عادل لأحدِ الواقفين:

- كيف لنا الوصول للشيخ فرحان؟

أجابه الشخص قائلًا:

- اذهب لتلك الغرفة، ستجدُ شخصًا يستطيع مساعدتك.

توجهنا ناحية الغرفة التي قال عنها ذلك الشخص، ووجدنا رجلًا ذا لحيةٍ خفيفةٍ يجلس خلف مكتبٍ صغير، وفور رؤيتهِ لنا عرف إنَّنا نبحث عنه، فطلب منا التقدُّم ناحيته، وعند وصولنا قال:

- ما نوع الحالة التي ستقوم بعرضها على الشيخ؟

لا أخفي عليكم، انتابتني حالةٌ من الارتباك الشديد؛ لأنني لم أحضِّر جيدًا لهذه المهمة، ولم أكن أيضًا أتوقع أنْ أُسْأَلَ هذا السؤال، لكنَّ نباهةَ عادل كانت أسرع، فقال له بهدوء شديد:

- كما ترى، صديقي الذي بجانبي يمرُّ بحالةٍ نفسية غريبة، ويعاني من أحلام مزعجة تزوره منذ أكثر من شهر؛ إذ يستيقظ مفزوعًا وهو يصرخ، ولم نجد أحدًا يساعدنا على ذلك، وسمعنا عن الشيخ الفاضل؛ فجئنا إليه آملين أنْ نجد عنده العلاج المناسب!

ثم اقترب من الرجل ذي اللحية الخفيفة، وقال بصوتٍ منخفض:

- أظنُّ أنَّ صديقي مسحور أو عُمِلَ له عمل.

هزَّ الرجلُ رأسه كأنَّه فهم ما قال له عادل، ثم طلبَ منا الجلوس بالغرفة أو الصالة الكبيرة المجاورة. لا أنكر إنني ما أزال مرتبكًا وغير واضح التفكير إلى أنْ اقترب عادل من أذني وهمس لي بهدوءٍ قائلًا:

- حاول أنْ تكون هادئًا، وركِّز جيدًا على محتويات البيت بحسب المطلوب منك.

هنا بدأت أركِّزُ بقوةٍ وأحفظ جيدا محتويات الصالة التي أجلس فيها، إلى أنْ انقطع هذا التركيز بعد نصف ساعة عندما قال ذلك الرجل:

- طارق بدر تفضَّل بالدخول.

قالها الرجل ذو اللحية الخفيفة الذي استقبلنا عند وصولنا.

تقدَّمنا نحوه نحن الاثنان، بعدها نظر إلينا ذلك الرجل، وقال:

- ليدخل المريض وحده على الشيخ.

نظرتُ إلى عادل وانتابني بعضُ الخوف والارتباك، حاول هنا عادل إيضاح بعض الأمور للرجل لكنه اصطدم برفضه الشديدة مُعَلِّلًا بأنَّها أوامر الشيخ، الدخول للمريض فقط أو صاحب الحالة، وإذا كان صاحب الحالة طفلًا يُسمح بدخول مرافقٍ معه.

لم أجد أمامي أيّ حيلةٍ، وأذعنتُ لكلام الرجل، هنا تقدَّم نحوي عادل وقال مرةً أخرى هامِسًا:

- حاول التظاهر بأنَّ هناك أحلامًا غريبةً وكابوسيةً تزورك، مَثِّل دور المسحور بقدر المستطاع، ولا تنسَ التركيز على المحتويات.

هنا قال الرجل ذو اللحية الخفيفة:

- الدخول لغرفة الشيخ من هنا، وهو يمدُّ يده ناحية الممرِّ الذي إلى جانبه.

قاطعهُ عادلٌ مرةً أخرى، وقال:

- سأوصله إلى الغرفة وبعدها سأعود.

هزَّ الرجل رأسه بالموافقة.

كان الممرُّ ليس قصيرًا وليس طويلًا، يعني مِن الممكن أنْ تسيرَ فيه عشرين خطوة على الأقل حتى تصل إلى باب الغرفة المراد الدخول إليها، كان عادل يدقِّقُ بكلِّ شيء يمرُّ بجانبه، فيما كنتُ أنا مشدوه البال، أفكِّرُ كيف سأتعامل مع ذلك الرجل، وبينما نحن نسير دخل عادل إلى غرفةٍ كانت وسط الممر؛ فسمعنا صوت ذلك الرجل وهو يقول:

- لا لا، ليست هذه الغرفة إنَّها هناك.

خرجنا وكنتُ أنظرُ إلى عيني عادل، هنا قال عادل وهو يحاول التظاهر بالغباء:

- أوه، آسفٌ جدًا! حسبتك تقصد هذه الغرفة.

خرجنا ورحنا نسير ناحية الغرفة المقصودة، توقَّف عادل وقال لي:

- ركِّز على كلِّ شيء، وتظاهر بالغباء أمام ذلك الشيخ؛ حتى نستطيعَ إتمام المهمة.

دخلتُ بخطواتٍ حذرِة ومُرتبكة في آنٍ معًا، وجدتُ رجلًا يرتدي ثوبًا أبيضَ، ولا يضع أيَّ شيءٍ على رأسه، كنتُ أظنُّ إنَّه شيخٌ مُلتَحٍ ويرتدي الزِّيَّ الشعبيَّ المعتاد لمثل هؤلاء الشيوخ، لكنَّ ما رأيته كان مُخالفًا لما كنتُ أظن، فكلُّ ما رأيته رجلًا يجلسُ بهدوءٍ ووقارٍ، يبدو إنَّه في العقد الرابع من عمره، وفور جلوسي قلتُ له:

- أنت الشيخ فرحان؟

قال بعدَ أنْ أخرجَ ورقةً ووضعها أمامه:

- أنا هو، وأعتقِدُ أنت طارق بدر، وهو يبتسم ابتسامةً صغيرة.

هززتُ رأسي مؤكِّدًا، ومن ثم بدأت أقصُّ عليه حكاياتٍ ألَّفها خيالي لا تمتُّ إلى الواقع بصلة، كنتُ أتحدَّثُ وأدَقِّقُ في الوقت نفسِه في الغرفة التي كانت مملوءة بالدواليب والرفوف التي رُصَّت عليها بعض الكتب، وزُيِّن وسطَ أغلبِ أبوابِ دواليبها بعددٍ من المرايا، فيما كانت هناك مساحاتٌ صغيرةٌ من الحائط عُلِّقَتْ عليها بعضُ اللوحات التي كتبت داخلها آيات قرآنية.

الشيخُ يهزُّ رأسه وهو يستَمِعُ بتركيزٍ شديدٍ، ويسجِّلُ بين الحين والآخر ملاحظاته في تلك الورقة، وبعد انتهائي من الحديث سألني بعض الأسئلة، لا أدري هل كانت إجاباتي مقنعة له أم متناقضة. لم تمضِ ربع ساعة حتى طلب مني العودة مرةً أخرى إلى تلك الصالة الكبيرة التي جلستُ بها، وانتظار الرجل ذي الذقن الخفيف الذي سيقوم باللازم حسبما يقول.

خرجتُ مِن غرفة هذا الشيخ براحةٍ كبيرة على عكس ما دخلت، بينما كان عادل ينتظرني، وفور جلوسي قلت له كلَّ ما دار مع الشيخ بالغرفة، وهو يستمعُ بتركيزٍ عالٍ، حتى إنِّي اعتقدت إنَّ المهمة تهمُّ عادل أكثر مما تهمني؛ نظرا لاهتمامه وحرصه الكبيرين. مرَّتْ أكثرُ من نصف ساعة، وبدأ عدد الزوار بالغرفة يقلُّ تدريجيا حتى شعرتُ ببعض الملل، وأثناء ذلك تفاجأت بالشيخ فرحان يقف فوق رأسي، يحمل بيده كيسًا يمده ناحيتي، وهو يقول:

- بهذا الكيس يوجد بعض الزيوت وماء (مقري عليه)، ادهن نفسك بهذه الزيوت كلَّ ليلةٍ مرةً واحدة، واحرص كلَّ الحرص على أنْ تكون على طهارة، وفي حال استجدَّت أيّ أمور ما عليك سوى زياراتي؛ حتى نعرف كيف نتعامل مع حالتك.

هززتُ رأسي أتظاهر أمامه بالفهم، في هذه الأثناء وقف عادل بجُرأةٍ جدًا وراح يهمس بأذن الشيخ، ليبادله الشيخ الطريقة نفسها هامسا بأذنه، ماهي إلا دقائق حتى ابتعد الشيخ عنا، وراح عادل ناحية الرجل الذي استقبلنا في البداية مُخرِجًا مبلغًا من المال وأعطاه إياه.

كانت لحظاتٌ سريعةٌ خاطفة، لكني عشتها ساعات من الارتباك والقلق، فأنا غير متمرِّس بمثل هذه الأمور، وهي المرة الأولى التي أجد نفسي بمثل هذه الظروف.

وفي الطريق ونحن متجهون إلى البيت، طلب عادل مني وصف الغرفة التي دخلت إليها، وبينما كنت أصفُ له ما شاهدت، كان يحرك رأسه بكلِّ حرص، وكأنَّه يفكر بشيءٍ ما، ثم قطع هذا الحديث قائلًا:

- فور وصولنا إلى منزلك لابدَّ من فتح الظرف الثالث؛ لمعرفة الخطوة القادمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6

- هذي الحياة تحتاج إلى قلبٍ جريءٍ ومقدام، وهو الشيءُ الذي لا أتمتَّعُ به نهائيًا، أعتقد إنَّ الحياة التي عشتها بالسابق كانت أتفهَ ما يكون كوني عشتُ داخل أسرة لم تكلِّف نفسها الاهتمام بطفلٍ ورعايته وتوجيهه، كانوا يعتقدون إنَّ الشِّدَّة هي الطريقة الأفضل للتربية، ممّا جعلني أنطوي على نفسي، غير واثقٍ بها، أخاف حتى الحديث معها في خلواتي، لم تجهزني عائلتي لمثل هذه الأيام، ولِما تراه عيناي الآن مِن صعوبات وغرائب لم أتصوَّر في يومٍ من الأيام العيش بها وخوض غمارها، أو حتى رسمها في مخيلتي البائسة- .

وهذا ما حدث بالفعل، فورَ وصولنا قُمنا بفتح الظرف الثالث الذي كان يحتوي على مهمة أصعب مِن سابقتها؛ إذ كُتب بالورقة الموجودة داخله ما يلي:

«أعتقدُ إنَّك أتممتَ الخطوتين السابقتين بنجاح، خاصة بعد معرفتك بماهية عمل هذا الرجل والمحتويات الموجودة في بيته، وبالتحديد الغرفة التي قابلتَ بها الشيخ فرحان، وسنأتي هنا للخطوة الأهم والأصعب... في تلك الغرفة يوجد شيءٌ مهم عليك العثور عليه، وهو عبارةٌ عن خاتم ذي فصٍّ أسود كبير، كلُّ ما عليك هو العثور عليه، وبمجرد ما تجده، عليك فتح الظرف الرابع بسرعة؛ حتى يتسنى لك إتمام الخطوة الرابعة. أعلمُ جيدًا إنَّ الخطوة صعبةٌ جدًا وتحتاج لتدبيرٍ ذكيٍّ وكبير، احرص كلَّ الحرص على إتمام العملية بسريَّةٍ وسرعة».

شعرتُ هنا برعشة كبيرة في صدري، وخفقان سريع بقلبي، وجدتُ الأمر نفسه قد ارتسم بملامح عادل الذي قال:

- الآن عرفت لماذا كان يطلب منا التركيز على كلِّ محتويات البيت وبالتحديد مداخله ومخارجه، نحن نحتاج إلى تدبيرِ خطةٍ لدخول منزل الشيخ فرحان، وعلى ما أعتقد ليس أمامنا سوى التسلُّل إليه دون علم أحد.

وقعتْ جملته على رأسي كالصاعقة، اقتحامُ المنازل والتسلُّلِ إليها! هذا يعني إنِّي سأنتحلُ وأتقمَّصُ شخصية اللِّص، الأمر الذي لم أتصوره بحياتي كلها!

هنا اتخذتُ قرارًا سريعًا؛ بسبب الضغط النفسي الذي أعيشه قائلًا:

- لن أكمل المهمة، لا أريد تلطيخ سمعتي بمثل هذه الأشياء، المهمة المقبلة في غاية الصعوبة، وأنا لست مِن هؤلاء أصحاب القلوب الجريئة، ليذهب جلال وروحهُ إلى الجحيم، ولتذهب آمنة معه! وأنا مستعدٌّ كلّ الاستعداد لأيِّ عقوبةٍ سيفرضها علي.

عاد الصمتُ مجدَّدًا؛ بسبب الحيرة البالغة التي وصلنا إليها، فكلانا يعلم ألّا مجالَ للتراجع في الوقت الحالي، إمَّا المُضِي بالمهمة، أو تحمُّل عواقب ما سيحصل، هنا قطعَ عادل وصلةَ التفكير، وقال:

- لديَّ خطة.

قاطعته بغضبٍ:

- لا أريدُ سماع أيّ شيء، قراري نهائي.

التفت إليَّ عادل بالحدَّةِ نفسها، وقال:

- لا تكن هشًّا، الحياةُ تلتهمُ المستسلمين بسهولة!

جلست على الكرسي وأنا أتنفَّسُ بقوة، لا أعلم ما الذي يحدث في داخلي، هل أوافقه وأستمع إلى خطته وأدمِّرُ كلَّ شيء، أم أتمسَّك بقراري وأنتظرُ المصائب؟ يا إلهي، أنا محاصرٌ! وكلا الحلَّين لهما عواقبُ وخيمة، قطعَ عادل فترة التشتُّتِ الذهنيِّ التي أعيشها قائلًا:

- ما عليك الآن سوى الاستماع، لعلنا نصلُ إلى حلٍّ.

وافقته مُكرَهًا، وسمعتُ الخطَّةَ التي سنقوم بها في الأيام المقبلة، إنَّها خطَّةٌ لا تكادُ تخلو من ثغرات، وبالأخير هي مغامرةٌ غير محسوبة العواقب.

في اليوم التالي بدأنا نراقبُ منزل الشيخ فرحان؛ من أجل معرفة الداخلين والخارجين، وموعد الاستقبال وانتهائه، وما إذا كان الشيخ يعيش وحده، والمنزل فقط لاستقبال زبائنه، أم يعيش مع عائلته؟ جمعيها معلومات قد تمَّ جمعُهَا بدقةٍ كبيرة حتى تأكَّدنا إنَّ المنزل

لاستقبال الزبائن فقط، وهناك منزلٌ آخر يعيش به مع عائلته، وعرفنا موعد خروج ودخول الزائرين.

تذكرون تلك الغرفة التي دخل عادل إليها بالخطأ قبل دخولي على الشيخ في زياراتي الأولى؟ لم يكن عادل مُخطِئًا حين دخَلها؛ بل كان يريدُ استكشافها ومعرفة ما فيها، كانت الغرفة بحسب ما رأى عادل مليئةً بالصناديق الورقية، والحاجيات القديمة من أثاثٍ مهترئٍ وغيرها من الأمور المُستهلكة، وتبدو بحسب قوله مكانًا للتخزين، الخطَّة التي وضعناها هي كالآتي:

زيارةٌ جديدةٌ لمنزل الشيخ فرحان بحجة إنَّ الأدوية التي وصفها لي في المرة السابقة لم تفِ بالغرض، وأنَّ الكوابيس والأحلام المزعجة ما تزال تزورني، هنا نحاولُ إيجاد طريقةٍ للتسلُّل لتلك الغرفة والاختباء بها حتى يخرج الجميع، ومن ثم الذهاب إلى الغرفة المطلوبة.

أعلمُ جيدًا إنَّها خطةٌ مليئةٌ بالثغرات وتحتاج لكثيرٍ مِن الحظ، وصعوبتها تكمن بالطريقة التي سندخل بها، خاصةً إنَّ الرجلَ الذي يستقبلنا يجلس دائمًا بمكانٍ يستطيع من خلاله كشف الممر جيدًا؛ لذا لابُدَّ مِن إيجاد طريقةٍ؛ لتشتيت انتباهه قبل الدخول، والأهم مِن كلِّ هذا هو التنفيذ.

وصلنا إلى بيتِ الشيخ، لا أنكرُ حالةَ الخوفِ التي تنتابني الآن! سارتْ الأمورُ كلها على ما يرام، لم تكن هناك أيُّ تعقيدات، وقمنا أنا وعادل نزيدُ تركيزَنَا مِن أجلِ إتمام المهمة بنجاح ومن دون تعقيد، والخطوة الأصعب هي تسلُّل عادل إلى الغرفة أولًا، ثم مهمة تسلُّلِي إليها أيضًا بعد خروجي مِن عند الشيخ.

نادانا الرجل ذو الذقن الخفيف يطلب منَّا الدخول إلى غرفة الشيخ، تظاهر عادل أمامه بأنَّه يريد إيصالي إلى باب الغرفة، ومن ثم العودة؛ لأني مُتعب، وعند الوصول إلى الباب نادى عادل الرجلِ ذا الذقن الخفيف بحجة أنَّ الشيخ يطلبه، تقدَّمَ الرجل نحو الغرفة، لكنَّ عادلًا وأنا وقفنا أمامه سادِّين الطريق عليه، وهنا كان عادل يتحدث بصوتٍ عالٍ قائلًا لي:

- أنا مضطرٌ يا صديقي للذهاب الآن لدي موعدٌ مهم بعد ساعة، وكل ما عليك بعد الخروج الجلوس عند هذا الرجل حتى أعودَ مجدَّدًا وآخذك، لن أتأخر كثيرًا، ركِّز جيدًا على ما يقوله الشيخ لك، وأعتقد إنَّك على علمٍ بالباقي. انتظر اتصالي.

ثم بدأ ينظر إلى الرجل ويقول له:

- أرجو الاهتمام به حتى أعود!

كان عادل يريد إيصال رسالة لرجل الاستقبال إنَّه ذاهبٌ في الوقت الحالي.

هزَّ الرجل رأسه مع ابتسامةٍ صغيرةٍ يؤكِّد فيها على الموافقة، ثم دخل الغرفة على الشيخ، هنا انتهزَ عادل الفرصة وهرع إلى الغرفة المراد الدخول إليها، وكنت وقتها أراقبُ الموقف؛ لأتأكَّد مِن دخول عادل بسلام.

خرج الرجلُ من الغرفة متأفِّفًا بعد أنْ عرفَ إنَّ الشيخ لم يطلبه، نجحت المهمة الأولى بتسلُّلِ عادل، وبقيتْ خطوة تسلُّلي أنا.

الخطوة المقبلة هي الدخول على الشيخ، وإكمال التمثيلية، ثم الخروج من أجل إتمام خطوات الخطة بحسب ما هو متفق عليه، والأهم، هو الظهور أمام الرجل ظهورًا طبيعيًا، حتى موعد تسديدي للرسوم الخاصة بالزيارة، واستلامي الأدوية التي سيصِفُها لي الشيخ.

جلستُ بمكانٍ قريبٍ من الرجل ذي الذقن الخفيف بعد خروجي من غرفة الشيخ، أنتهزُ لحظة قيامه؛ حتى أندفِعُ إلى الغرفة وأختبئ، كنتُ متوقِّعًا تحرّكه بأيِّ لحظة، وبالفعل سارت الأمور كما نريد، قام الرجل إلى الحمام، هنا وقفتُ ورحتُ أتظاهرُ بالتحدُّثِ بالهاتف مع عادل بصوتٍ عالٍ قائلًا له:

- دقائق، وسأخرج إليك.

طبعا لم أخرج إليه؛ بل تسلَّلْتُ إلى الغرفة التي اختبأ بها عادل قبلي.

لا أخفي عليكم شعور التوتر الذي ظننت بأنه سيُغمى علي بسببه في أيِّ لحظةٍ، وأعصابي التي كادت أنْ تتمزقَ قبل دخولي إلى هذا المكان. وجدتُ عادل عند وصولي مُختبِئًا خلف إحدى الخزائن

العملاقة، ورحنا بعدها ننتظرُ خلوَّ البيت مِن الشيخ والزبائن وموظفيه، والدخول إلى غرفة الشيخ فرحان والبحث عن الخاتم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

7

خيَّم الليلُ بظلامه بعد غياب خيوط الضوء في تلك الغرفة التي كنا نختبئ بها، كنَّا ننتظر بفارغِ الصبر والخوف، نعدُّ الثواني والدقائق من أجل اجتياز اليوم الذي باتَ ثقيلًا على صدرينا، ننتظرُ أيضًا اختفاء مصادر الصوت والثرثرة التي بالخارج حتى نتأكد من رحيل الجميع؛ لنبدأ مهمتنا الجديدة.

مرَّتْ على ما أظنُّ أكثرُ من ساعة، العرقُ يتصبَّبُ من جبينينا، والخوفُ ينهشُنا مِن الداخل، همستُ في أذنِ عادلٍ قائلًا:

- لا أصوات أو ضجة منذُ أكثر مِن ربع ساعة.

هزَّ عادل رأسه يوافقني الرأي، ثم بدأ يتحرَّكُ واقفًا، وراح يسير نحو الباب، نهضتُ خلفه أتقدَّمُ بخطواتٍ حذرةٍ وبطيئة، أتحسَّسُ المكان؛ بسبب الظلام الدَّامس.

كان عادلٌ وقتها يضع إحدى أذنيه على الباب يحاول التأكُّد مِن عدم وجود أصوات ورحيل جميع مَن في البيت، نظر إلى الساعة وقال لي:

- أعتقدُ إنَّهم رحلوا، كما ترى إنَّها الثامنة، وفي هذا الوقت يكون المنزل خاليًا، متأكدٌ مِن ذلك كوني كنتُ أراقبهم خلال اليومين الماضيين وهم يرحلون بهذا الوقت، لكن مِن باب زيادة الحرص؛ سننتظرُ قليلًا حتى نتأكَّد مِن خلوِّ المكان تأكُّدًا تامًّا.

لم أعارض عادلًا أبدًا، وبقيت أنتظرُ معه، وحتى لو طلب مني الرَّحيل لرحلت، كارهًا المكان بأكمله! مرَّ قليلٌ من الوقت وعادل يتحدَّثُ معي بصوتٍ مُنخفِضٍ قائلًا:

- الآن حان وقت التنفيذ.

خرجنا مِن الغرفة بحذرٍ شديدٍ نسير بخطواتٍ هادئة، نستكشف المكان بقلقٍ، كانت جميع الأنوار مغلقة، وبالكاد نرى أمامنا، باستثناء أنوار الشارع الخارجي التي تتسلَّلُ من بعض النوافذ غير محكمة الإغلاق، حرَّكَ عادل رأسه مُشيرًا به نحو الغرفة المراد البحث فيها.

توجَّهنا نحوها، لكن هذه المرة بخطواتٍ أسرع، مدَّ عادل يدَهُ نحو المقبض... فتح الباب الذي لم يكن مغلقًا بالمفتاح، ثم بعدها أغلق الباب خلفه، هنا أخذَ نفسًا عميقًا وراح ينظر إليَّ قائلا:

- المهمةُ الأصعب البحث عن ذلك الخاتم، هناك العديدُ من الخيارات للبحث، أنت ستبحث بذلك الاتجاه، وأنا سأبحثُ هنا.

انطلقنا مسرعين نبحث... فتحنا الدواليب والخزائن، استمرَّ بحثُنا أكثرَ مِن نصف ساعة، لكنَّنا لم نجد ذلك الخاتم، كان أمرًا متعبًا بالنسبة لنا، وكنت أقول بداخلي: هل فشلت المهمة؟ هل سنرحلُ الآن؟

كانت علاماتُ الأسى واضحةً على وجه عادل الذي لا يريد الخروج من البيت إلا والخاتم معنا، بحثنا في كلِّ مكانٍ ولم نجد أيَّ شيء! هنا، راح عادل يركلُ كلَّ شيءٍ أمامه بعصبية، لا أدري لم هو متحمِّسٌ لهذه المهمة أكثر مني! وأثناء ذلك ركلَ أحد الدواليب الصغيرة التي كانت إلى جانبه، وكان فوقها شيءٌ يشبه المزهرية، والتي سقطتْ على الأرض وتحطَّمتْ، وقتها لم ينتبه عادل أو بمعنى أدق لم يكترث، انتشرت شظايا المزهرية في المكان، وخرج منها شيءٌ مختلف لا يشبها أبدا، تنبهت له ورحتُ أسير ناحيته أريدُ التأكد منه، وضعته في يدي، وقلت:

- يالنا من أغبياء! لماذا لم نفكِّر في هذا المكان؟ إنه الخاتم يا عادل كان مُخَبَّئًا داخل هذه المزهرية!

تقدم نحوي عادل، وبحركةٍ سريعةٍ أخذ الخاتم، وراح ينظر إليه، وقال:

- بالفعل، إنَّه نفسه، ومطابق للمواصفات المذكورة في الظرف الثالث، ثم احتضنني بكلِّ قوة، وقال بسعادة:

- نجحنا يا طارق! نجحناااا! أنهينا الخطوة الثالثة، حان الآن وقت فتح الظرف الرابع بحسب ما ذُكِرَ لنا.

هززتُ رأسي بفرحٍ ، ناسيًا ساعات القلق والتوتر والخوف التي مررتُ بها قبل قليل، ومن ثم أخرِجُت الظرفَ الرابع من حقيبتي الصغيرة التي أحملها معي.

فتحتهُ بهدوء مُسلِّطًا إضاءة الهاتف على الورقة؛ من أجل قراءة ما بداخلها، فكان الآتي:

«أنت الآن أمام الخطوة الأهم بعد حصولك على الخاتم، وهذا بحدِّ ذاته إنجازٌ رائع، ركِّز جيدًا لما ستقرأ الآن، ستنفِّذُ ما أقوله بكلِّ حرصٍ ودقةٍ ومن دون تردُّدٍ أو خوف؛ لأن ما ستعرفه سيكون خارجَ نِطاق مخيلتك، عليك أن تحَضِّرَ خادم الخاتم، وهذا يتطلَّبُ منك شجاعةً فريدةً من نوعها، ستجدُ الطلسم الخاص بتحضير خادِم هذا الخاتم موجودًا آخر هذه الورقة، عندما تقرأ الطلسم لابدَّ مِن إغلاق عينيك جيدًا، ولا تفتحهما إلا بعد الانتهاء من القراءة، وبعد تحضيره، قل له فقط: طابت ليلتك، بعدها سيفهَمُ جيدًا ما المطلوب منه، وسيحدِّثُكَ بالخطوة الأخيرة من هذه المهمة. أنت على مشارفِ إتمام نهاية المهمة الأولى.

ملاحظة مهمة: احرص على عدم وجود أيّ شخصٍ معك، لابدَّ أنْ تكونَ وحدك».

ابتلعتُ ريقي، شعرتُ بارتعاش أطرافي، المطلوب مني خارج نطاق خيالي! إنَّه يطلبُ مني استحضار مخلوقٍ غير بشري والجلوس والتحدث معه! هذا الذي فهمته من المكتوب، هنا التفتُّ لعادل، وقلت:

- هذا يعني إنِّني سأكون وحدي، هذا يعني إنَّني سأواجه أشياءً لا تمتُّ إلى واقعنا بصلة!

حرك عادل رأسه، وهو يربتُ على كتفي ويقول:

- أعلمُ إنَّك في موقفٍ لا تُحسد عليه، كلُّ ما عليك الآن هو استحضار الشجاعة والتقدّم داخل الغرفة وإغلاقها عليك، وقراءة تلك الجملة المكتوبة أسفل الورقة، سأنتظرك في الخارج.

هنا تمنيتُ أنْ تنشقَّ الأرضُ وتبلتعني، مردِّدًا في داخلي: يا ليتني لم أعرف آمنة التي أدخلتني بهذه اللعبة المرعبة! التدقيق بالأشياء دائمًا ما يكون نهايته مؤلمة!

عادل ينسحب بهدوءٍ من الغرفة، وكنت وقتها أقفُ وكلُّ قطعةٍ مِن جسدي تنتفض، ولم أنتبه إلا لحظة إغلاق عادل للباب، التفتُّ يمينًا وشمالًا أراقبُ المكان بكلِّ ذعرٍ، هل أهرب؟ أنا رجلٌ يدمن الانطواء، لم أكن أعلمُ إنَّ أقداري ستضعني بهذا الموقف.

أمسكتُ الورقة بيدي، ركَّزتُ نظري ناحية الطلسم المراد قراءته، أخذت نفسًا طويلًا محاولًا من خلاله ترتيب أعصابي التي تبعثرت في داخلي، ومِن ثم بدأت بقراءة الطلسم الذي كان يتكوَّنُ مِن سبع كلمات فقط بخوفٍ شديدٍ، وبعدها أغلقت عينيَّ بينما كنتُ مُمسِكًا بالخاتم باليدِ الثانية، هنا سمعتُ فرقعةً كبيرةً بالمكان، يا إلهي! لماذا كلُّ الأشياء التي لا أريدها أنْ تحصل، تعمل معي جيدًا؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

8

كنت أعيشُ لحظاتٍ خارجة عن المألوف، فتحتُ عينيَّ بعد الانتهاء مِن تلك الكلمات السبعة، كان المكانُ مليئًا بالفوضى على عكس ما كان عليه قبل دخولي إليه، شعرتُ بأنفاسِ أحدهم في المكان الذي أقف فيه، صوتُ تنفُّسٍ قويٍّ، ثم شعرتُ بتلك الخطوات التي تبدو على الأرض دون أنْ أرى أحدًا! انتابني هلعٌ شديد، ارتجفت قدماي، لا أدري هل أهرب؟ الهربُ هو سبيل الحمقى أمثالي، ركَّزتُ نظري ناحية تلك الأصوات، حتى خرج ذلك الصوت الأجشّ قائلًا:

- وجهٌ جديد أراه أمام عيني.

ارتعدتْ فرائصي، أحاولُ التركيز على ما أسمع، هنا قلتُ بصوتٍ مرتجف:

- أنا الآن أقومُ بتنفيذ المهمة.

أحسستُ وقتها إنَّ الدولاب الذي أمامي تحرَّك، ولا أدري لماذا قلتُ تلك الجملة، بعدها سمعته يقول:

- عن أيِّ مهمةٍ تتحدَّث؟ اكشف عن أخبارك وإلا...

هنا تذكرتُ تلك الجملة الصغيرة التي كتبت بالخطوة الرابعة، فقلت:

- طابت ليلتك.

وفور انتهائي مِن هذه الجملة شعرتُ بموجةٍ هوائية قد انتشرت بالغرفة، دارت عيناي بالمكان كله، وتجمَّدَ الدمُ في عروقي عندما رأيت ذلك الجسد الذي يقف أمامي، رجلٌ يرتدي ملابسَ لا تمتُّ إلى العالم الحالي بصلة، وكأنَّه يعيش فترة العصور الوسطى، أو إنَّه رجلٌ بدويٌّ كان يعيش منذ أكثر من(300) سنة، يضعُ عمامةً لم أتبين لونها على رأسه، ويرتدي عباءةً سوداءَ بالكامل، وبالكاد أرى عينيه اللتين تلتمعان بشدة، سقطتُ أرضًا مِن الخوف والهلع؛ ليقطع صوته الأجش كلَّ لحظات الرعب قائلًا:

- أنت مِن طرف جلال إذن؟

أجبته:

- نعم، جلال مَن طلب مني إحضارك.

عاد صوته الخشن من جديد، لكن هذه المرة بغضبٍ:

- ألا يعلم هذا الغبي إنِّني الآن مرتبطٌ مع هذا المدعو الشيخ فرحان، الذي حتى الآن لا يعرف كيف يتعامل معي، لماذا تأخَّر كل هذا الوقت؟ أريد جلب طريقة

تحرِّرُني من هذا الرجل الأحمق.

هنا تذكرت شيئًا مهما، تذكرتُ الظرف الخامس لابدَّ مِن فتحه، رحتُ أبحثُ عن الظرف داخل الحقيبة، أخرجته وفتحته مباشرةً، وقلت لخادم الخاتم:

- أعتقد إنَّ الإجابة على سؤالك موجودةٌ في هذه الورقة.

ظل ينظر إليَّ بكلِّ حِدَةٍ وغضبٍ، وقال:

- ماذا تقصد؟

هنا بدأت اقرأ ما كان مكتوبا في الخطوة الخامسة.

« أنت في هذه اللحظات تتحدثُ مع الخادم شريار أحد أكبر عفاريت الجن، هو الآن بمأزقٍ بسبب ربطه مِن المدعو الشيخ فرحان؛ أي إنه تحت نفوذ فرحان ورحمته، ولا يستطيع عمل أيِّ شيء إلا بطلبٍ منه، كل ما عليك لفك هذا الربط هو قراءة الطلسم الذي ستراه في آخر الورقة، حرِّر ذلك الشيء مِن قبضة فرحان، وبعدها ستكون المهمة قد أُنجِزَتْ على أكمل وجه، لا تهتم لما يحدث، اقرأ الطلسم فقط وأنت جالسٌ على الأرض بكلِّ تركيز. ملاحظة: بعد الانتهاء احرق كلَّ الأوراق التي كُتبت عليها المهمات التي كنتَ تقومُ بها».

- كل الذي لا نريده تجلبه لنا الأقدار بأسهل الطرق وكأنها تسخر منا! هذا لسان حالي الآن، وأنا أنظرُ إلى الخادم شريار الذي يقف أمامي الآن وكأنَّه يريد التهامي بعينيه اللتين يكاد الشرر يخرج منهما، وقلت:

- أنتَ مستعدٌّ لتحريرك مِن أسرِك؟

في هذه الأثناء سمعتُ صوت صريرِ باب الحجرة يُفتح ببطء، التفتُ بسرعةٍ كبيرة ناحيته، كان الضوءُ يتسلَّلُ بهدوءٍ في المكان، صدمتُ عندما رأيتُ عادلًا يدخل الغرفة، يسير وفي عينيه علامات الرعب، حتى أدركتُ ما خلفه... هناك رجلٌ آخر، إنَّه الشيخ فرحان! كان واقع الصدمة شديدًا، خاصة عندما كان يضع مسدَّسًا على رأس عادل مهددًا إياه، كان المشهد مرعبًا، والمفاجآت بهذا المنزل تتوالى، لا أعرفُ مِن أين جاء، وكيف عرف بوجودنا في منزله، حينها قال الشيخ فرحان:

- كنتما تظنان إنَّ الأمور ستسير بسهولة؟ وإنكما ستنجوان بفعلتكما هذه؟ مِن أولِ لحظة رأيتكما بها وأنا على يقين بأنكما تخططان لشيءٍ ما، إنكما أغبى مما تصورت، هل كنتما تتوقعان أنْ أترك بيتي بلا اهتمام لكم ؟ في هذا المنزل كاميراتُ مراقبة.

رحت أنظرُ إلى السقف أبحث عن تلك الكاميرات الموجودة، قطع لحظة بحثي قائلا:

- لا تُتعب نفسك، لن تراها مكشوفة، إنَّها مخبئةٌ بأماكن لا تخطر على بالك، والآن جاء وقتُ العقاب لما اقترفته أيديكما بتعديكما على ممتلكاتي الخاصة.

التفتُ ناحية الخادم شريار لكنِّي لم أجده، لقد اختفى! أيُّ حظٍّ سيءٍ يحاصرني الآن، للتو كان واقفًا أمامي، وهرب بكل سهولة عندما احتجته، أكمل الشيخ فرحان حديثه قائلًا:

- ما الذي دفعكما للتسلُّلِ؟ أريد معرفة السبب.

هنا تدخَّل عادل بعد صمتٍ ليس بطويل قائلًا:

- ماذا تظنُّ من شخصين يتسللان إلى منزلك في هذه الساعة؟ أعتقد أنَّ الإجابة واضحة.

حرك الشيخُ فرحان رأسه وابتسمَ بسخريةٍ، وقال:

- تعتقدان إنني سأسلمكما للشرطة؟ مستحيل أن يحصل هذا الأمر، عندي حلٌّ سهلٌ ومريحٌ لنا جميعا، طلقتان مِن هذا المسدس تخترق قلبيكما وينتهي كل شيء، وسيكون جسدكما تحت إمرتي، لن يفكر أيُّ مخلوقٍ بوجودكما هنا.

لا .. الأمر وصل لمرحلةٍ في غاية الحرج ! هنا تذكرتُ ما كنت أريد القيام به قبل دخولهما، قراءة الطلسم؛ لتحرير شريار مِن سيطرة الشيخ فرحان، كان هو الحل الأخير بالنسبة لي.

جلستُ على الأرض ورحتُ أقرأُ ما كُتب بهدوء، ثم أغمضت عينيَّ، هنا شعرتُ بأنَّ حرارة الغرفة بدأت بالارتفاع، فتحتُ عينيَّ مرةً أخرى بسبب الحرارة الغريبة والعالية التي انتشرت في المكان، هناك شيءٌ يتحرَّكُ حركةً سريعةً وخاطفة، بعدها بدأ شيءٌ يتوهَّج أمامي ببطءٍ شديد، ليظهر الخادم شريار مرةً أخرى وحوله سحابة دخانية بيضاء، راح ينظر بغضبٍ شديدٍ بعينين صارمتين ناحية الشيخ فرحان، اهتزَّتْ لحظتها أركانُ الغرفة وكأنَّ زلزالًا يضرب الأرض، شعرتُ إنَّ كلَّ شيءٍ بدأ بالتحرك، لكنَّ جملةَ الشيخ فرحان قطعت زخم التوتر عندما قال:

- شريار، جئت بوقتك... اقتل هذين اللعينين اللذين تعديا على ملكيتي!

لم يرد الخادم شريار على كلامه؛ بل استمر بتحديقه المرعب ناحيته، والشيخ فرحان يكرر ما يقول له، هنا حدثَ ما لم أتوقعه، رأيتُ جسمَ الشيخ فرحان يترفع عاليًا وكأنَّ أحدهم وضع يده على عنقه ثم رفعه إلى الأعلى، كانت حركة يديه وعدم توازنه مثل سمكةٍ خرجت من الماء، هناك مَن يقبض عليه، وحشرجة أنفاسه تشير إلى أنَّ هناك من يخنقه، ثم بعد ذلك ظهر جسمُ الخادم شريار أمامه وهما يسبحان في سماء الغرفة، نظرات البغض والحقد

باديتان على وجه شريار، بعدها قذف جسد الشيخ فرحان بكل قوة ناحية الحائط؛ ليرتطم بشدة وتتفجر منه الدماء، وتنتشر على الحائط والأرض، كان مشهدًا مخيفا لم ترَ عيناي مثله من قبل!

اقتربَ مني عادل وقال بذعرٍ شديد: دعنا نهرب، الأمرُ خرج عن السيطرة، هنا التفتَ إلينا الخادم شريار، وقال بصوته الأجشّ:

- لن يخرج أحد من الغرفة.

بعد ذلك رأينا جسد الشيخ فرحان يطير مرة أخرى في الغرفة، لكن هذه المرة وهو بحالة إعياءٍ كامل، بعدها أمسكتْ يدُ الخادم شريار به وبدأت بسحبهِ حتى اختفيا، ولم نسمع سوى صوت الشيخ فرحان وهو يصدر صرخات مرعبة ومخيفة، صراخ أحدٍ يهوي من مكان عالٍ، نحيب، صوت ألم، لا أدري ما الذي حصل! وبعد

دقائق من موجة الأصوات المفزعة، رأينا جسد الشيخ فرحان يهوى بكلِّ قوة مرة أخرى ناحية الأرض، لكن هذه المرة دون نفس، مات الشيخ فرحان، كان جسده ممزَّقًا، ووجهه شبه مسلوخ، وكأنَّ هناك من التهمه، رائحةٌ غريبة تخرج منه، ملابسه ممزقة، وعيناه جاحظتان مِن الخوف الشديد الذي رآه قبل موته، وشاخصتان إلى السقف بتركيزٍ مبهم.

لا ندري لماذا فعل الخادم شريار فعلته هذه، وأقدم على قتل الشيخ فرحان! كانت ملامح الصدمة والجزع باديتان على وجهينا، لا ندري ماذا نفعل، أنطلقُ قدمينا للريح، أم نبقى ننتظر حتى يجهز علينا شريار؟

في هذه الأثناء ظهر لنا شريار مرةً أخرى وهو يقفُ بذلك اللبس العربي القديم، والدخان الخفيف يتطاير من جسده، راح ينظرُ إلينا بتركيزٍ عالٍ من عينيه الحمراوتين، هزَّ رأسه هزًّا مرعبًا وهو ينظر إلى الأرض ثم بعدَ ذلك رفع رأسه وتحدثَ قائلًا بصوتهِ الأجشِّ:

- لا أحبُّ شكر أحدٍ على معروف، لكن سأردُّ هذا الجميل لكما في يومٍ ما، لقد حررتماني مِن نفوذ هذا الأحمق المعلون، دع الخاتم معك، ربَّما في يوم الأيام ستحتاجني، كلُّ ما عليك فقط أن تضعَ إبهامك على فص الخاتم، وتكرر اسمي لمرات عديدة، اعذراني على تلك اللحظات المخيفة التي شاهدتماها، كل ما أريده الآن منكما عدم تذكر ما حصل ونسيان ما رأيتماه، الجثة ستختفي، ولن يعرف أيُّ شخصٍ مكانها، هذا جزاءُ مَن يتعدَّى حدوده مع عالمنا، وهذا القذر الملقى أمامكما تعدى على أسياده، وسيطر على روحي ببعض الطلاسم، لكنه لم يعرف كيف يوجهني، وكما تريان هذا جزاءُ من يعبث بالنار.

ساد الصمتُ مرةً أخرى، وكلانا ينظر إلى الآخر، شريار يشكرنا على تحريره! أيُّ مفاجأةٍ إيجابيةٍ ومريحة؟ لكن التوجُّسَ والخوفَ ما يزالا يلعبان بأعصابنا، قطع لحظةَ الصمت عادل قائلًا:

- كل ما نريده إخفاء الدلائل التي تدلُّ على وجودنا، وأظن إنَّ هناك كاميرات مراقبة مخبأة قد وثَّقت الحدث.

قال الخادم شريار:

- لا تقلق، كل شيء سيعود كما كان، ولن توجد هناك أي دلائل على شيء، ارحلا بسلام، واتركا هذه المهمة لي.

اختفى الخادم شريار من الغرفة بعد ثوانٍ، شعرتُ هنا بتعبٍ شديدٍ، وكأنني بذلتُ مجهودًا كبيرًا، بالكاد سرتُ خطوتين ثم سقطت مغمى علي، لم أنهض إلا على صوت عادل وهو يردد إسمي ويضربني بخفة على وجهي محاولًا إيقاظي؛ لأفتح عينيَّ بثقلٍ كبير قائلًا:

- كم مضى من الوقت؟

ردَّ علي عادل:

- يبدو إننا في هذا المكان من أكثر من ساعتين، لا تقلق يا طارق كلّ شيء على ما يرام.

رفعت رأسي ونظرت ناحية يدي، ما يزال الخاتم في قبضتي، ثم قلت:

- دعنا نخرج من هذا المكان بأسرع وقت ممكن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

9

شربتُ قنينة الماء بكلِّ لهفة، وكأنني قطعت مئات الكليو مترات في صحراء شاسعة، كان عادل ينظر إليَّ بانبهارٍ شديدٍ وأنا مستلقٍ على كرسي السيارة؛ بسبب طريقتي بشرب الماء، والتعب الشديد الذي أنا عليه، ينتظرُ التقاط أنفاسي مِن أجل أنْ أحكي له ما حدث بالضبط مع الخاتم وشريار، نعم، ما هي إلا دقائق حتى شعرتُ ببعض الراحة، ثم حكيت له كلَّ ما جرى بالتفصيل، وبالتحديد قبل دخوله مع الشيخ فرحان، كانتْ علاماتُ الدَّهشة والانبهار على وجهه، خاصة وأنه كان يسمع أصواتًا غريبةً ومريبةً عندما كنتُ بالداخل مع شريار.

نشوةُ الانتصار باديةٌ على وجهينا، قبل ساعات كنا بوجهين قلقين، والآن بوجهين نضرين ملؤهما الانتصار، وبالأخص وجه عادل الذي كان سعيدًا جدًا حدَّ الإفراط، كوني كنت أراقبه طوال طريق عودتنا، ولا أنكر بقايا مشهد موت الشيخ فرحان، وطريقة موته التي ما تزال عالقةً في ذهني. باغتَّه بذلك السؤال المفاجئ قائلًا:

- كيف استطاع الشيخ فرحان اكتشافك، والدخول علينا بتلك الطريقة؟

ردَّ عادل بعد أنْ أخذ نفسًا طويلًا:

- كنتُ وقتها استرق السمع لما يحدث في الغرفة، ناهيك مِن أنَّ كاملَ تركيزي منصبٌّ على ما يحدث عندك، لم أشعر إلا وفوهة المسدس مصوَّبة ناحية رأسي، وصوت الشيخ فرحان يطلبُ مني بتلك النبرة الحازمة والآمرة أنْ أتحرك بهدوء وأدخل إلى الغرفة مباشرة، والباقي أنت تعرفه.

رددت عليه وقلت:

- كانت لحظاتٌ مرعبة.

هزَّ رأسه بالإيجاب، ثم راح ينظر إلى الطريق، بينما كنتُ أفكر بشيءٍ آخر خطر على بالي بتلك اللحظة، فقلت له:

- لا أدري لمَ كلّ هذا الاهتمام المفرط بشأن هذا الموضوع! ولهفتك وحماسك الشديدان ناحيته مع أنَّه لا يخصك، خاصة وإنَّه من الممكن الانسحاب منه بأيِّ لحظة!

ابتسم عادل لي وقال:

- هناك أمرٌ مهمٌّ لم تعرفه عنِّي، وهو إنَّك لا تعلم كم أبلغ من العمر.

اومأت رأسي بالإيجاب مؤكِّدًا ما يقول؛ فاستأنف حديثه قائلًا:

- أحيانا نحتاجُ للامنطقية؛ لنصل في النهاية لحلول منطقية، إنها فلسفةُ الحياة الصعبة يا طارق التي لن تفهمها إلا بعد تجربة المنطق في حياتك، عندما تصلُ في النهاية لطريقٍ مسدود تعرف بعدها أنَّك تحتاج للامنطقية التي من الممكن أنْ تصلَ بك إلى مرادك. أنا يا طارق تجاوزت الأربعين من عمري دون تحقيق أيِّ إنجازاتٍ شخصيةٍ تُذكر، حتى إنَّني لم أستطع الزواج وهو الشيء السهل، في بداية عملي الصحفي كنتُ أظنُّ إنَّني لو عملت بالمنطق ومبادئ الصحافة سأصلُ لمكانٍ بعيدٍ وربما منصبٍ كبير، لكنَّ المنطقَ الذي كان يقودني لم يوصلْنِي إلى أيِّ مكانٍ سوى الضياع، والبقاء مكاني كمحررٍ صغيرٍ بقسمٍ بائس، بعدها اجتازني الجميع ضاربين بعرض الحائط المبادئ باللامنطق، وأنا جالسٌ أنظر إليهم متمسكٌ بمنطقي.

عندما أتيتني أول مرة كنتُ أظنّك إنسانًا مجنونًا مِن هؤلاء الذين تقذفهم علينا الدنيا، وبعدَ أنْ حكيتَ لي حكايتك، قلت بيني وبين نفسي: ما المشكلة لو سايرتك، فأنت مختلفٌ عنهم، لكن بعدما قلتَ: إنَّك التقيتَ بروح جلال، علمتُ جيدًا إنَّني أتعامل بالوقت الحالي مع اللامنطق، والذي من خلاله سأصلُ إلى هدفي المنشود، وصناعة خبرٍ صحفيٍّ غير مسبوقٍ يعملُ ضجةً كبيرة بالمجتمع، وتتلاقفه جميعُ مواقع التواصل الاجتماعي والمجلات والصحف، وطبعًا سأقفزُ على المنطق الذي كنت أتبعه طوال حياتي سابقًا بقصَّتِكَ اللامنطقية، العالم اليوم يعشقُ كلَّ شيءٍ بلا منطق!

والآن كما ترى، أنا أجدُ الفرصة المناسبة لي، والتي قدمْتَها لي على طبقٍ مِن ذهب، وأرصدُ كلَّ الأحداث من البداية، وأوثِّقُ كلَّ شيء بدقَّة، وها نحن قد قطعنا شوطًا كبيرًا، وهو الأمر الذي يزيد سعادتي، أعلمُ أنَّني أنانيٌّ بهذا الأمر كوني أبحثُ أيضًا

عن مصلحةٍ شخصية، لكن تأكَّد، إنَّ الأقدار هي من ساقتني إليك؛ لمساعدتك بهذا الأمر منذ البداية، وأمامنا الآن خطوة أخرى لابُدَّ من إتمامها، موضوعٌ يتحدَّثُ عن الماورائيات، أمرٌ مثيرٌ للاهتمام والبحث، هذا سببُ لهفتي وحماسي الكبيران، آسفٌ جدًا على الشفافية والصراحة، لكن لابُدَّ أنْ تكونَ على علم.

هززتُ رأسي بثقلٍ مع ابتسامةٍ، وقلت:

- كل ما قلته يعدُّ بالنسبة لي فلسفة، يبدو إنني سأستخدمها بعد انتهائي من هذه الحكاية والعودة مجدَّدًا إلى حياتي الطبيعية، دعنا من هذا كله، كلُّ ما أفكر به الآن هو الخطوة المقبلة.

هناك العديدُ من الأسئلة التي أبحث عن إجابة لها خاصةً بعد الانتهاء من المهمة الأولى، منها الأسباب التي دفعت جلال إلى سرقة الخاتم، وتحرير

الخادم شريار من قبضة ذلك الشيخ فرحان.

قال لي عادل وهو يركِّزُ نظره على الطريق:

- الإجابات ستجدها جميعها عند روح جلال (سارق الجثث)، فهو يعرفُ جيدًا ما يريد،

قلت له: هل تظنُّ إنَّ روحه ستزورني خلال الفترةِ المقبلة؟

قال بعد تفكيرٍ:

- على ما أظن نعم، سيزورك؛ لأنَّ هناك العديد مِن الأمور التي لم تكن واضحة، ولابدَّ من معرفة المهمة الثانية، نحن الآن نحتاج للراحة بعد أيامٍ مُتعبة فكريًا وجسديًا، انتظرُ زيارة روح جلال لك.

أجبته بعد أن عاودني القلقُ مجدَّدًا:

- أعتقدُ إنَّ المهمة المقبلة ستكون مُتعبة مثل سابقتها، أعصابي لم تعد تتحمل أكثر مِن الذي حدث ليلة البارحة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10

جميع الأشياء تأتي مع بعضها، سواءً كانت لحظات سعيدة أو حزينة، هي تأتي وتمرُّ، كلُّ شيءٍ سيمضي، ودوَّامةُ المشاكل التي وقعتُ بها لم تنتهِ؛ بل كانت تدورُ بكلِّ قوتها، وتسحبني إلى داخلها بشدة وسرعة منقطعتي النظير.

لم يسترِح جسدي في ذلك اليوم إلا سويعاتٍ قليلة، لم أنهض وقتها إلا على إرتفاع صوتِ التلفاز غير المبرر، الغريب في الأمر إنَّني لا أنام إلا بعد أنْ أُخْفِضَ صوته، لكن هذه المرة ارتفعَ تلقائيًا، وهذا لا يحصل إلا بفعلِ أحدهم.

نهضتُ بتثاقلٍ كبير، أبحثُ عن جهاز التحكُّم لخفض مصدر الصوت، سائلًا باستغرابٍ عن سبب ارتفاعه بهذه الطريقة، في هذه الأثناء سمعت ذلك الصوت الذي باغتني فجأة:

- لم أكن أتوقع إنَّك تملكُ كلَّ تلك القدرات المميزة!

هنا تنبَّهتُ لتلك الجملة التي دوَّت بأذني، إنَّه صوت روح جلال (سارق الجثث)! لم أتوقع حضوره بهذه السرعة، أعرفُ نبرته جيدًا، قلت له:

- وأنا أيضًا لم أتوقع زيارتك غير المتوقعة بهذا الوقت.

هنا دوتْ ضحكته بالمكان، وقال:

- المهمة المقبلة لن تكون أسهل مِن سابقتها، المهم هو الإنجاز.

أجبته بغيظٍ:

- جملتُكَ الأولى دليلٌ على عدم ثقتك بي، لماذا إذًا كلفتني بتلك المهمات المتعبة والمرعبة في الوقت نفسه؟

أجابني جلال قائلًا:

- لا تلمني يا صديقي، فملامح وجهك لا تدلُّ على أنَّك إنسانٌ ناجحٌ، أو رجلٌ للمهمات الصعبة، أعتقدُ إنَّك لم ترَ كمية البلاهة في وجهك، وأعتقد أنك أنت أيضًا لا تؤمن بقدراتك، وإذا لم تؤمن بقدراتك وتثقُ بنفسك لا تتوقع أن يؤمن بك أحدٌ ويعطيك الثقة.

كانت كلماتٌ واقعيةٌ وواضحة، عالمه الذي يعيش به يختلف عن عالمي، وهو ما يعطيه بصيرةً كبيرةً ودقيقة بالوقت نفسه، قلت له بعد ذلك:

- ما قصتك مع الشيخ فرحان؟ ولماذا جعلتني أقوم بتلك المهمة التي كانت نهايتها موته؟

صمتَ لثوانٍ ثم قال:

- أظنُّ إنَّ الوقت قد حان لتعرف مَن الشيخ فرحان، ولماذا انتهى به الحال إلى الموت، هذا يا صديقي دجالٌ كبير ومراوغ، ارتدى قناع الدين؛ ليستتر على نشاطاته المشبوهة، ويتظاهر أمام الناس بأنَّه رجلُ دينٍ وتقوى، لكنه في الواقع يتعاملُ مع السحر والمشعوذين والدجالين، أتدريٍ ما المضحك بهذا كله؟ إنَّه مشعوذ لا يجيدُ مهنته ودخيلٌ عليها، وهو ما جعله أسوأ ساحرٍ في الآونة الأخيرة، ومع كلِّ الأسف كنتُ أتعامل معه وأسرق له الجُثث!

قلت له بذهول:

- لماذا كنتَ تسرق الجثث، ما الهدف من ذلك؟

أجابني بكل شفافية قائلًا:

- إنَّها تجارةٌ مربحة يا صديقي، ولا ألومك على دهشتك من مهنتي، فهي تُدِرُّ عليَّ الأموالَ درًّا سريعًا وكثيرًا بالوقت نفسه، الأموات بهذا الوقت أعلى سعرًا من الأحياء، جثةٌ واحد تعادل ألفَ دينار، وفي بعض الأحيان يزداد سعرها بحسب العرض والطلب، تخيل بيع ثلاث جثث بالشهر يعني أن تكون الحصيلة ثلاثة آلاف دينار، أعلى من راتب

وزير! لو كنت مكاني لعملتَ بها دون تردُّدٍ، والأسهل من ذلك إنَّ الأموات بشرٌ منسيون لا يسأل عنهم أحد

ما الذي يقوله هذا الرجل؟ تجارته غريبة لم أسمع بها من قبل! هنا قلت له:

- على مَن كنتَ تبيع الجثث التي تسرقها؟

أجاب :

- سؤالك ذكيٌّ ومهمٌّ ومِن الممكن أنَّه سيجيب على العديد من الأسئلة التي تدور بخلدك، كما تعرف الشيخ فرحان يعمل بالسحر الشيء الذي رأيته بأمِّ عينك وأنت في منزله، وأغلبُ المشعوذين يتعاملون مع الجثث من أجل التقرُّب من عالم الجن؛ للسيطرة عليه، أو إخفاء أعمالهم الشريرة داخلها، وبالتحديد داخل المقابر، الشيخ فرحان أحدُ هؤلاء الذين كنتُ أتعامل معهم.

أصابتني الدهشة بعد سماعي تلك الإجابة ليستأنف جلال حديثه قائلًا:

- الشيخ فرحان أغبى مشعوذ تعاملت معه بحياتي؛ لأنه يجهل كلَّ شيء يتعامل معه، ودخوله عالم السحر والشعوذة كان بالصدفة المطلقة، إلا إنَّه وجدها تجارةً رابحة، الناسُ دائما لا تصدِّق الحقائق، ترى بالأوهامِ راحةً، وفرحان وأمثاله راحوا يستغلون ذلك الشيء ويتصيدون المغفلين.

قلت وأنا مصابٌ بالدهشة:

- حتى الآن لم أفهم شيئًا مما تقول.

- الآن ستفهمُ كلَّ شيءٍ، لكن دون أنْ تقاطعني.

قالها بعصبية شديدة!

ذات يومٍ بعد الانتهاء مِن صفقةِ بيعِ إحدى الجثث، طلب مني الشيخ فرحان تعليمه دخول هذا العالم، وكيفية السيطرة على أحد العفاريت الذين يسهلون مهمته، وكوني أحد الأشخاص الذين يتعاملون بها سابقًا كنت على درايةٍ كاملة بهذا العمل، وكما تعلم أنا رجلٌ لا أعمل بالمجَّان، فكلُّ كلمة تخرج من فيهي مدفوعةُ الثمن، وكان الخاتم هو أحد الأشياء التي عرضتُها على الشيخ فرحان كونه مربوطًا بأحدِ العفاريت الذين يملكون

قدراتٍ عالية، وأيُّ ساحرٍ يتعامل مع شرير سيربحُ الكثير؛ لما يملكه مِن صفاتٍ يتفوق بها على أقرانه، وكنتُ قد أبلغته بكلِّ المميزات المذهلة التي يتمتع بها الخاتم، وهو ما أبهره كثيرًا، لكن الذي أوقف الصفقة المبلغ الكبير الذي طلبته، والذي أدى إلى تأجيلها.

قاطعته مرة أخرى:

- كنتَ تعملُ بالسحر والشعوذة سابقًا؟!

أجاب ببروده السابق:

نعم، كنت أحد أمهر الأشخاص في هذا المجال.

يكاد رأسي ينفجر مِن هذه المفاجآت التي أسمعها، هنا قلت له:

- ما الذي حدث بعد ذلك مع الشيخ فرحان؟

قال وهو يحاول مداراة غضبه:

- كان هذا المعتوه يتعامل في الوقت نفسه مع ساحر آخر أقل خبرة، فحكى له القيمة التي يتمتَّعُ بها الخاتم، لكنهما كانا غير قادرين على دفع القيمة المالية له، وهو ما جعلهما في حيرة حتى قرَّر كلاهما سرقة الخاتم بعد تعاملهما مع خدمٍ للجن أقلّ مرتبة من الخادم شرير.

مصيبتي يا طارق كنت أكتب طلاسم السيطرة على خوادم الجن على ورقٍ وأخفيه في منزلي، وهو الأمر الذي استطاعوا مِن خلاله سرقة الطلاسم والخاتم معًا، والسيطرة على الخادم شرير، لكنهما لم يعرفا التعامل معه، كونه مربوطًا بي، والسيطرة لن تكتمل إلا عن طريقي، الأمر الذين كانا

يجهلانه، وفي الوقت نفسه الخادم شريار لا يستطيع عمل أيِّ شيءٍ إلا لي، الغبيان لم يكملا الطقوس إكمالًا جيدًا، فأصبح شريار محبوسًا لا يظهر للشيخ فرحان؛ لأنَّ من علامات خضوع الجنِّ للمشعوذ الظهور له، وشريار لم يظهر له، كان يكلمه فقط من وراءِ ستار، والخطأ الذي وقعا به جعل فرحان مقيدًا ينتظرُ أحد الطلاسم التي تفكُّ قيده وتجعله يعود إلى طبيعته.

ومِن القوانين الصارمة في هذا العالم أيضًا أنَّ أيَّ مشعوذ يُفلِتْ مِن قبضته أيُّ خادمٍ مصيره الموت الحتمي، وهذا ما حدثَ للشيخ فرحان مع شريار.

ما هذا العالم الغريب الذي أسمع عنه؟ قلتها في نفسي، أكمل جلال حديثه قائلًا:

لم يكن هناك وقتٌ لاسترجاع الخاتم وتحرير شريار مِن قبضة فرحان؛ لأنَّ الموت كان أسرع ، بعد وفاتي بأسبوع انتهى كل شيء، لولا إنَّك تدخلت عن طريق ذلك الكتاب الذي استطعت جلب روحي من خلاله.

وضعت يدي على رأسي أحاول استيعاب ما يقول، ما كلُّ هذه التعقيدات؟ ما هذا العالم الغريب والقوانين المريبة؟ لأقول بعدها بفضول كبير:

- أخبرني، مَن قتلك؟

عاد الصمتُ لدقائق ثم تحدَّث جلال قائلًا:

- ستعرف كلَّ هذا بعد إتمامك المهمة الثانية، أنت على بُعد خطوةٍ مِن مقابلة روح عشيقتك آمنة، ركِّز فقط على عملك، المهمة المقبلة لن تكون سهلة كثيرًا.

أخذتُ نفسًا عميقًا وقلت:

- جلال، أرجوك لا تجعلني أتعاملُ مرةً أخرى مع عوالم لا تمتُّ لواقعنا بأيِّ صلة!

عاد جلال، وقال:

- المهمة المقبلة مختلفة جدًا عن المهمة الأولى، لكنها ستكون صعبة كثيرًا، وصعوبتها تكمن في أنَّك ستتعامل مع أشخاصٍ غريبي الأطوار.

قلتُ بتوجُّسٍ شديد:

- ماذا تقصدُ يا جلال؟ إنَّك تخيفني كثيرًا!

كنتُ أنتظر ردَّ جلال الذي غاب طويلًا، رحت أنادي اسمه لكنَّه لم يرد، هذه هي طريقته، يرحل رحيلًا مستفزًّا.

في هذه الأثناء فتحتُ أنوار الغرفة، انتشر النورُ في المكان تلقائيًا، هذا الجلال يتفنَّنُ في إفزاعي! بعدها سقطتْ مجموعةٌ مِن الأظرف بجانبي على السرير، كانتْ الأظرف كسابقتها في المهمة، عددها خمسة أظرف، وكلُّ ظرفٍ كما تعرفون كُتب بوسطهِ رقمه التسلسلي، وأعتقدُ إنَّه لابُدَّ مِن فتح ظرفٍ ظرف كما تعاملتُ مع مهمةِ بيت الشيخ فرحان.

لا أدري ما تخفيه هذه الأظرف، كلُّ ما أريد فعله الآن انتظار الصباح؛ للاتصال بعادل، ومناقشته بكيفية التعامل معها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11

يومٌ جديدٌ، يبدو إنَّه سيكون مليئًا بالخوفِ والمفاجآت، انتظرتُ بكلِّ قلقٍ وصول عادل؛ حتى أبلغه بما حدث ليلة أمس، الأحداث الجديدة تتطلَّبُ تركيزًا وتفكيرًا عاليين. وصل عادل وحكيتُ له كلَّ ما جرى بالتفصيل ليلة البارحة مع روح جلال، هزَّ رأسه بطريقتهِ المعتادة والعملية، وقال:

- دعنا نفتحُ الظرف الأول؛ لقراءة المطلوب منا، لا نريدُ التأجيل أكثر مِن ذلك.

الشعورُ المتناقِض يحاصرُني كعادتِه، فضولٌ يدفعني بكلِّ قوته لفتحِ الظرف ومعرفة المطلوب، والخوفُ يريدُ مني الهروب بأقربِ فُرصةٍ ممكنة، الفضول مَن ينتصر بمثلِ هذه الظروف كالعادة.

رقم (1) كان واضحًا وسط الظرف، مددْتُ يدي وفتحته بتوترٍ شديد، وكالعادة أظرف جلال لا توجد بها علاماتُ ترحيبٍ أو استهلال، فالدخولُ إلى المضمون مباشرةً:

« أنت مقبِلٌ على مهمة أصعب مِن سابقتها بكثير، مهمة تتطلب منك تركيزًا وحذرًا كبيرين كونك تتعامل مع شخصٍ يفوقُ الشيخ فرحان في الذكاء والدهاء بمراحل، اجمع معلوماتٍ كاملة عنِ الطبيب جمال منصور، أحد الأطباء المتخصصين في علم النفس والاستشارات النفسية، ولديه عيادةٌ معروفةٌ بمنطقة الجابرية، كلُّ المطلوب منك هو التحري جيدًا كما فعلتَ مع الشيخ فرحان، العنوان مدوَّن أسفل الورقة.

ملاحظة مهمة: لا تتعامل بذكاءٍ مفرط أو غباءٍ مفرط مع هذا الرجل، دع الأمور تسير سيرًا طبيعيًا».

انتهتْ الورقة على هذا النحو، يبدو إنِّني مقبِلٌ على مهمةٍ في غاية الصعوبة، والأدهى من ذلك الغموضُ الذي يحيط بها كوني أتعامل مع رجلٍ متعلِّمٍ ولديه شهاداتٌ عليا،

ناهيك عن الخبرة التي يتمتَّعُ بها، وعمله في مجال قراءة النفوس، وعلاج المشاعر والأحاسيس، سيقرأ عيني قراءةً جيدة!

هنا نطق عادل قائلًا:

- كالعادة، الخطوةُ الأولى ستكون من اختصاصي، خلال (24) ساعة سأجمع القدر الممكن من المعلومات عن هذا الرجل، وبعدها سندخل بالتفاصيل المطلوبة.

لا أدري ماذا كنت سأفعل لو لم يكن معي عادل، هذا الرجل يساعدني بكلِّ حماس وقوة، يريد فقط الوصول إلى نهاية هذا الطريق الذي لا أعلم كيف ستكون نهايته!

وبالفعل لم تمضِ أقل من (24) ساعة حتى أبلغني بكلِّ التفاصيل الخاصة بهذا الرجل، والمطلوب الآن زيارته كما هو متوقع بالظرف الثاني: زيارة لعيادة الدكتور جمال منصور، وبالفعل هذا ما وجدناه في الظرف الذي كُتب عليه رقم(2)، والذي طلب منَّا زيارة العيادة، والجلوس مع الطبيب من أجل استكشاف وضعه.

ذهبنا إلى منطقة الجابرية وزرنا العيادة، وانتظرنا مع المنتظرين من المرضى أو المراجعين، مرَّ مِن الوقت أكثر من ساعة ونحن ننتظرُ ساعةَ دخولنا حتى أصبحت العيادة شبه خالية مِن المراجعين، وما هي إلا ثوانٍ حتى قالت الموظفة التي تجلسُ في الاستقبال: إن الدكتور جمال يعتذرُ ممَّن تبقى من المراجعين، ولا يستطيع استقبالهم بسبب ظرفٍ طارئ حصل له.

آووووه... ياللخيبة! كلُّ هذا الانتظار ويعتذر في الأخير! هذا يعني إنَّني سأعود غدًا بالطريقة نفسها، وأعيش التوتر نفسه، رحلتُ أنا وعادل من المكان دون أنْ ننطقَ بكلمة، كنتُ بغاية الضجر وقتها، سمعتُ كلمات عادل التي يحاول من خلالها تهدئتي:

- سنعودُ غدًا، لا عليك.

لا تعلم يا عادل كم أتشوَّق لإنهاء المهمة بأسرع وقت ممكن، وفي الوقت نفسه فضولي يدفعني لمعرفة مَن ذلك الرجل الذي سنقابله، وما الطريقة التي سنتبعها معه، أمرٌ بغاية الأسف أنْ يمرَّ اليوم دون أيِّ نتيجة، أو تقدم في العمل!

المشكلة لم تكمن فقط في تأجيل الموعد، المشكلة كانت في اليوم التالي وبالتحديد عندما كنتُ أنتظر عادل في منزلي من أجل الذهاب إلى العيادة مرة أخرى؛ حيث اتصلَ معتذِرًا عن المجيء؛ بسبب ظرفٍ طارئ حصل له في العمل، وطلبَ مني إكمال المهمة وحدي، خاصةً إنَّها مهمةٌ استكشافية فقط، وكلُّ ما عليَّ هو معرفة نوعية هذا الرجل، والدخول في تفاصيل أخرى.

ذهبتُ برفقة القلق والخوف والتوتر بدلًا من عادل، وانتظرتُ دوري بالعيادة كما حصل ليلة أمس، لم تتغير ساعات انتظاري، حتى إنَّني حفظتُ أشكال التماثيل الموجودة في العيادة جميعها، والتي كانت مُشكَّلة على هيئات نسائية، وأعتقدُ إنَّ من صنع هذه التماثيل إنسانٌ بارعٌ ودقيق؛ لأنَّه اهتمَّ بأدقِّ التفاصيل، حتى يُخيَّل لكَ إنَّ التماثيل ستنطق في أيّة لحظة، وبينما كنت

مندمجًا بروعة تلك المنحوتات، ومتذمِّرًا من ساعات الانتظار سمعتُ موظفة الاستقبال تنادي اسمي، لأجدَ نفسي آخر مراجع يدخل على الطبيب.

دخلتُ بخطواتٍ بطيئةٍ وبكلِّ ثقة، وجلستُ بهدوءٍ تام وثبات، كنت على علم بما أريدُ قوله، وفي الوقت نفسه أحاول بقدر المستطاع أنْ أكونَ طبيعيًا جدًا في التعامل. قابلني الطبيب بابتسامةٍ هادئة، وعينين جميلتين يملؤهما الدفء، وجهٌ يخلو من الشعر، وجسمٌ رياضيٌّ متناسق، كانت حركاته أنيقةً جدًا، وردوده مهذبة وهادئة، سحرني الرجل بهذه الأناقة! تحدثتُ إليه طويلًا بعدما اخترعتُ له قصةً عن حالةٍ نفسيةٍ تصيبني، ورحتُ أتحدَّثُ وأتحدَّث دون توقف، بينما كان يستمعُ ويدوِّن كلَّ ما أقوله، وفي هذه الأثناء كنتُ أردِّدُ في داخلي: هذا الرجل مِن نوعية الرجال الذين يهتمون بأدقِّ التفاصيل هذا ما شعرت من تصرفاته، كلُّ ما أذكره بعد ذلك تلك الكلمات التي بعدها انقطعتُ عن كلِّ شيء.

- ركِّز جيدًا في ما تقوله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12

يبدو إنَّني محبوسٌ في مكانٍ ما، لا أدري أين أنا، المكان هادئٌ وباردٌ جدًا ، جسدي كله يرتعش، أجلسُ بين حيطانٍ بيضاء، الغرفةُ تبدو شبه خالية إلا مِن بعض الكراسي التي توزَّعت توزعًا غير منتظم، أشعر بدوارٍ كبيرٍ في رأسي، كنت أتحسسه مِن شدة الألم وكأنَّ أحدهم ضربني بقوةٍ عليه، كنت أقول لنفسي: كلُّ ما أريدهُ الآن التركيز، وإدراك أين أنا الآن.

نهضتُ بتثاقلٍ، وتوجَّهتُ نحو الباب الوحيد الذي كان في المكان، لم يطرأ برأسي سوى ذلك الحل، التوجُّه إلى الباب وفتحه، فالغرفةُ التي بها شبه خاوية، صريرُ الباب كان مزعجًا لكنِّي لم أهتم كثيرًا، كل ما أريده معرفة ماهية المكان.

لحظة .. هناك أحد، رجلٌ يرتدي (دشداشةً بيضاء)، و(الغترة) على الطريقة الكويتية القديمة، يبدو إنَّه ممتلئُ الجسم، لا أكاد أميِّزُ وجهه أبدًا؛ بسبب الإضاءة الخافتة بالمكان، اتجهتُ نحوه بخطواتٍ متسارعة وغير ثابتة، كلُّ ما أريده من هذا الشخص معرفة أين أنا، وسبب وجودي هنا، وعندما اقتربتُ منه كان يعطيني ظهره، لكنَّه شعرَ بوجودي؛ بسبب دبيب خطواتي؛ فالتفت ناحيتي ببطءٍ شديد، ما الذي أراه؟! أصابتني الصدمة.. أمعقول ما أشاهده؟ إنه .. والدي!

رحتُ أفركُ عينيَّ بكلِّ قوةٍ محاولًا تصديق الموقف، ما أراه وجه أبي، لا .. لا .. إنَّه هو ..! متأكدٌ من ذلك!

كيف يحدث هذا الشيء؟ والدي متوفى منذُ أربع سنوات، يكاد عقلي يجنُّ مِن هذا المنظر! إنَّه شيءٌ لم يكن بالحسبان، أحاول تصديق ذلك الموقف، هل أنا بحلم؟ لا، إنَّه أبي! يجلس بهيئته المعتادة، وبيده مسبحته التي أميزها جيدًا، يحرِّكُها يمينًا وشمالًا، نظراته المترددة والمكسورة، وعيناه الذابلتان أعرفهما لا تغيبان عن بالي لحظة، لا أنسى ضعف شخصيتك، وانزوائك على نفسك، وإصرارك على جلوسك الدائم وحدك طوال اليوم غير عابئٍ بما يحدث في بيتك، شخصيتك الضعيفة انطبعتْ في مخيلتي

كنتَ كالفزَّاعةِ التي ترعبني، أصبحتَ أسوأ مثالٍ أراه أمام عيني، لم أجد أيَّ مفرٍّ منك سوى الهروب، كنت أتحاشاك كثيرًا وأتظاهرُ أمام الناس بأنِّي لا أعرفك؛ بسبب غرابةِ تصرفاتك، صارتْ شخصيتك تتسلَّلُ إلى أعماقي، أخافُكَ ليس جزعًا، إنما خجلًا مِن البشر!

هل أهرب؟ أيُّها الأحمق إلى أين ستهرب؟ ليس لديك حلٌّ سوى الهروب؟ لقد اعتدتَ الفرار، الفرار الذي لم تجد معه حلًا! أصبحتَ يا والدي تتلبَّسُنِي،

أصبحتُ نُسختك، الشيء إذا خفته كثيرًا سيحصلُ لك يومًا ما، وها أنا أكرِّرُ شخص والدي، خوفي جذبني إليك.

لحظة، هناك شيء خطأ، والدي ميِّتٌ منذ أربع سنوات، كيف يحدث ذلك؟ زحمة أفكار اكتظت في رأسي، ما الذي أتى به إلى هنا؟ نعم، أتذكَّرُ ذلك المشهد عندما عِلِمْنا بخبر وفاتك، كنتُ أتخيل إنَّ بيتنا سيصبحُ غابةً مِن البكاء والنحيب، وأولهم والدتي رغم كرهها وكثرة انتقادها لك، لكن العشرة ستكون عذرًا للبكاء عليك، لكن ما رأيته كان مشهدًا مختلفًا بتاتًا...

عندما علمتُ بالخبر خرجتُ منتظرًا ردة الفعل التي تخيلتها، كنت متوقِّعًا أن تأتي والدتي مسرعةً وتحتضنني باكيةً، لكنَّ المنظر الذي رأيته كان مختلفًا، أمي تتحدَّثُ بالهاتف غير مكترثة! هذا أولُ ما رأيته، يدٌ على الهاتف واليد الأخرى تقشِّر بها بذرةِ الحَبِّ الشمسيِّ، مع ابتسامة غير واضحة المعالم على وجهها، تنقل الخبر بكلِّ برودٍ إلى خالتي:

- أبو طارق عطاك عمره.

مشهدٌ بقي عالقًا بذاكرتي.

أنا الآخر لم أكن مهتمًا، وتظاهرتُ بالحزن عليك طوال فترة عزائك، بينما كنتُ في داخلي أقفزُ فرحًا كونكَ أزحتَ حِملًا ثقيلًا عن كاهلي. والدي، كم اجتاحتني لحظات السعادة الغامرة عندما علمت بخبر وفاتك! كنتُ أردِّدُ بيني وبين نفسي تلك الجملة: ذلك الأمر المخجل في حياتي انتهى، مع أنَّك لم تكن مصدرِ إزعاج أو قلق بالنسبة لي، ومع أنَّك لم ترفع يدك لتضربني على وجهي، ومع أنَّك كنت مسالمًا كقطِّ منزلٍ منسيٍّ ينتظرُ موعدَ وجباتهِ اليومية.

ها أنت تقوم الآن لتتقدم ناحيتي، الفرار هو الحل الذي يقتنص رأسي، أدرتُ لك ظهري كما كنت أفعل بالسابق، وأنت كعادتك لا تبالي، ولم أشعر إلا وأنا أقفُ خلفَ امرأة كانت تلبس ثيابًا غامقة اللون، وهي تصرخ عليك بكل قوتِّها، وأنتَ خانِعٌ صامتٌ لا تردّ، هي نظراتك البلهاء والجبانة التي لم تتغير، والدتي كانت أقوى منك، نعم، هي والدتي التي الآن أقِفُ خلفها.

أذكر حديث خالتي مع والدتي، وهي تقول لها: لماذا لا تُنجبين لطارق أخًا يسلي وحدته، وأذكر ردَّ والدتي عندما قالت:

- هل الحياة بحاجةٍ إلى مزيد مِن الحمقى؟ إنَّها غلطةٌ ولا أريد تكرارها.

لم أفهم ردها في ذلك الوقت، لكن عندما كبرت علمتُ جيدا ماذا تقصد، هي الأخرى كانت تريد بشدة الخلاص منك، أيُّ رجلٍ أنت يا والدي؟ كلنا نريد الهروب منك!

استمرَّ صراخُ والدتي في أبي بكلِّ شدةٍ وجبروت، كنتُ أظنُّ إنَّ أمي تلك المرأة المتجبِّرة والمتسلطة، وإنَّها هي من جعلتك تركع وتخضع لها، وإنَّها سلبت كلَّ شخصيتك، للنساء مرَّات سحرٌ يُفقِدُنا نحن معشر الرجال الكثير، لم أجد نفسي إلا أبتعدُ هاربًا جالسًا في إحدى زوايا الغرفة أضع يدي على وجهي أبكي بكلِّ حسرةٍ وخوف، لا أريدُ سماع ذلك الصراخ الذي يحطِّمُني مِن الداخل.

في هذه الأثناء كانت هناك يدٌ تمسح على رأسي محاولةً تخفيف ما أنا به، انطلقتُ نحوها بكلِّ قوتي واحتضنتها، ورحت أبكي بصوتٍ عالٍ شقَّ نحيبه المكان، شعرتُ بحنانٍ لا نظير له، روحي كلها تتسلَّلُ مني؛ لتنصهر داخلها، كانت تقول بصوتها الذي لا يفارق ذاكرتي:

- لا بأس عليك يا عزيزي، لا تقلق، ألم أقل لك سيأتي اليوم الذي أنتشلك من هذا كله؟

هنا ابتعدتُ عنها قليلًا، ورحت أنظرُ إليها، أصابتني الدهشةُ من جديد، اختلط نحيبي بدموعي وذهولي، من أين جئتِ يا دلال؟ لماذا حضرتِ اليوم بالذات إلى هذا المكان؟ لماذا تتقافزون عليَّ مِن كلِّ جانبٍ دون موعد؟ بالسابق خرجتم جميعًا من حياتي كلًّا بطريقته، واليوم أُحشَرُ معكم بغرفةٍ لا أدري كيف جئتُ إليها! وجوهكم تلاحقني بكلِّ مكانٍ وزمان.

نهضتُ من مكاني أحاول الهروب كعادتي، وبينما أنا أسير بخطواتٍ متسارعة أتلفَّتُ خلفي بارتباكٍ شديد، وقفتُ لأجدَ أمامي مرآةً صغيرة، كنت أنظرُ إلى نفسي بكلِّ بلاهة، إنه أنا، لكن هنا كنتُ أسمن بكثير مما أنا عليه الآن، لحظة.. هذا أنا قبل أربع سنوات تقريبا، عندما كان قلبي متعلِّقًا بتلك الساقطة دلال، اللحية الصغيرة (السكسوكة)، رحتُ ألمسُ وجهي وأتحسَّسُها، بأيِّ عامٍ أنا؟! هذا السؤال الذي طرأ برأسي فجأة، قبل دقائق كنت في مكتب الدكتور جمال! لحظة، لقد أزلتُ هذه السكسوكة منذ مدة؛ لأنها كانت تُذكِّرُني بدلال، هي من كانت تقول لي:

- إنك بتلك (السكسوكة) تصبح (جنتل مان)، رجلٌ يجذب جميع النساء ناحيته.

كم كنتُ غبيًّا! كيف أصدِّقُ كلَّ ما يقال بكلِّ سهولة؟

أتذكَّرُ نفسي وقتها كم كنت هائمًا بدلال! كم كنتُ مسحورًا بها! اندفعتُ نحوها بكلِّ طاقتي، الحبُّ دائمًا أعمى، وهو الآن بالنسبةِ لي أعمى وأبكم وأصم، أيُّ شيءٍ كانت تقوله لي دلال كنتُ أنفِّذه دون تردد؛ حتى سيطرتْ على كلِّ قطعةٍ مِن جسدي. تزوجتها رغم أنفِ أمي التي كانت معارضة بشدة، لكنها لم

تكن تعطي أسبابًا واضحةً في الوقت نفسه لرفضها، وكانت تقول جملة واحدة فقط:

- إنها لا تنفعُ زوجة.

النساءُ هنَّ مَن يعرفن النساء، والرجال بحضرة الجمال والحب مجرَّدُ أدوات.

دلال كانت تضعُ سُمَّها تدريجيًا بجسدي دون تردُّد بكلامها المعسول، والدتي كانت تُهزَمُ بكلِّ منازلة تكونُ بينهما، بينما أنا أصدِرُ حق الفيتو بوجهِ أيِّ قرارٍ ينطلق مِن أمي، وأطبِّقُ كلَّ قرارات دلال التي أصبحت الآمرة الناهية في المنزل، ودون شعور وبسبب سحر دلال تلك الفتاة الجميلة التي ملكتني- ربما بسبب حالة الجفاف الأبوي الذي كنت أعيشه- تعلَّقتُ بأولِ حالةِ عطفٍ صادفتني، أو لكوني لم أتعلم الحبَّ والتحكمَ بمشاعري؛ بسبب غياب والديَّ عني خلال حياتي السابقة، أبٌ مشرَّدٌ ضعيفُ

شخصية، وأمٌّ تبكي على خطئها الوحيد بالزواج من رجلٍ لا يفهم كيف يتعامل مع النساء، رجلٌ قد قتلَ كلَّ الأنوثة بها.

ذلك اليوم كان فارقًا بالنسبة لي؛ بسبب القرار الذي اتخذته بطردِ والدتي من المنزل كوني الوريث الشرعي، وكون والدي كتبَ لي كلَّ شيءٍ - رغم شرودك المستمر لكنك كنت يا والدي على علمٍ بمن يحبك ويبغضك- الأمر الذي صدمَ والدتي، لكنها لم تأبه له؛ لأنها على علمٍ بأنَّني نسخةٌ أخرى من والدي، أتذكَّرُ نحيبَ والدتي وبكاءها، أتذكَّرُ صدمتها.. خَيبتُها بي، لكني كنت غير مكترثٍ، أفكِّرُ فقط بدلال لا سواها.

لحظة.. مَن هذا الرجل؟ دقيقة واحدة.. دعني أركِّزُ جيدا، كرسيٌّ أخضرٌ خشبيٌّ طويل، يجلس عليه ذلك الرجل ودلال، كانت تضحكُ بكلِّ غنج، وهو يبتسمُ بمكر، ثوانٍ حتى مدَّ يده ناحيتها؛ ليمسك يدها يعتصرها، أمعقولٌ ما تراه عيناي؟ دلال تخونني؟! أيُّ رجلٍ أحمق أنا! لم تكذب والدتي عندما قالت: لا أريد زيادة الحمقى في العالم، وأنا الأحمق الجديد الذي صدَّق حبَّ دلال.

المشهدُ ينتقلُ الآن انتقالًا غريبًا، أنا الهادئ أصرخُ في وجه دلال بكِّل عنفوان، وهي تردُّ بكلِّ وقاحة، إنَّها لا تحبني ولا تريدني، غلطة عمرها عندما تعلقت بإنسان مثلي، كانت تقول: ميزتُك الوحيدة أنَّك أبله، نوعٌ واهنٌ تعشقه بعضُ النساء، مِن السَّهل التحكُّم بك، لم أجد نفسي إلا وأنا أصفعها بكلِّ قوة، ثم سقطتُ على الأرض باكيا ومنهارًا، بينما رحلتْ هي بهدوءٍ من دون اكتراث، كما فعلت والدتي عَندما رحل أبي! لك أن تتصور عندما يحيط بك السواد مِن كل ناحية،

أشياء عديدة تتبعثر برأسي من كل ناحية الآن: صوت رصاص، دماء، صراخ، شرطة... أشياءٌ عقلي لا يريد الوصول إليها، بينما هناك أمرٌ آخر يلِحُّ علي بالذهاب ناحيتها، ويهاجمني بكلِّ قوته، يريدُ مني الالتفات ناحيتها، بينما كنت أخبئ وجهي بكلتا يديَّ، لا أريدُ النظرَ إلى ذلك المنظر.

توقَّفُ الأمر كله فجأة، عيناي لا تريان سوى البياض، لا أدري مَن طلب مني الوقوف عند النافذة! أفكِّر بكلِّ قوة في الانتحار، عقلي يُزَيِّنُ لي أنَّ الموت هو الوسيلة

الأنجح للهروب، أنا رجلٌ لا أستحقُّ الحياة، الموت أولى بي يا مَن تريدونني أنْ أعيش، كلهم تركوني ورحلوا بعدما نفَّذتُ لهم كلَّ ما يريدون، كنت بالفعل أتقدَّمُ ناحية النافذة أسيرُ بكلِّ هدوء، أفتحها.. أضعُ قدمي على حافتها محاولًا القفز، وبكلِّ عزمٍ دفعتُ نفسي، أريد الانطلاق بالهواء والارتطام بكلِّ قوتي بالأرض، في هذه اللحظة لم أشعر إلا بيدٍ تسحبني بكلِّ قوتها إلى الداخل، وهي تقول:

- طارق ماذا تفعل؟ غبيٌّ أنت؟ تريد القفز مِن هذا المكان العالي؟!

هنا تنبَّهتُ جيدًا، وبدأت أنظر في المكان بدقَّة، بالفعل كانت غرفةً بيضاء، رحتُ أبحثُ عن والدي، ووالدتي، ودلال، لم يكونوا موجودين، إنَّه عادل يحاول تهدئتي بعد إحساسه بخوفي الشديد، وأنفاسي المتلاحقة؛ ليقطع حالة الذهول التي أمرُّ بها، وقال مرةً أخرى:

- ما الذي أتى بك إلى هذا المكان؟

لحظة شرودٍ غير مسبوقة، راحت الأفكارُ برأسي تتبعثر، قبل دقائق كنتُ مُغمضًا عينيّ، كلُّ الأشياء برأسي تعودُ لطبيعتها، وكلُّ ما أتذكره كلمات الطبيب جمال وهو يقول لي:

- ركِّز فقط بما تقول.

ولم أجد نفسي بعدها إلا وأنا بهذا المكان! هنا قلتُ لعادل بدهشةٍ مفرطة:

- كم الساعة الآن؟

ردَّ عليَّ وهو يهزُّ رأسه بأسى:

- إنَّها الواحدةُ فجرًا.

لحظتُها فتحتُ الأبواب، وفُتِحتْ الأضواء فجأةً بعدما كانت الإضاءةُ خافتةً، ولم نسمع إلا دبيبَ خطواتٍ قادمةٍ نحونا، التفتنا؛ لنجدَ ذلك الرجل يسير نحونا بكلِّ هدوء، إنَّه الدكتور جمال!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

13

ساعة إدراك الحقيقة دائمًا تقودك إلى الدهشة، الدهشة المُتْعِبة التي تجعلك تسأل كثيرا دون أنْ تجدّ أيَّ إجاباتٍ تريحُ عقلك، ما يحدثُ أمامي الآن فاقَ كلَّ التوقعات، وأسئلةٌ لا تجدُ لها أيَّ إجابة، لماذا أنا موجودٌ بهذا المكان؟ مِن أين خرج عادل لينقذني من الموت؟ ولمَ الطبيب جمال يسير بهذا الهدوء والثقة، وينظر إلينا بتلك العينين المتربصتين وكأنَّه يريدُ الانقضاض علينا؟

وقف إلى جانبنا وهو يُخرج مِن جيبه ذلك المسدس، وحالةٌ من الترقُّبِ والثقة وبعضٍ مِن الحذر، يتكلَّم بمقتٍ شديدٍ، وكأنَّ أحدَنا حاول قتله قبل قليل قائلًا:

- يالكَ مِن رجل محظوظ! كان بينك وبين الموت ثوانٍ، لكنَّ القدر يلعبُ لعبتهُ معك يا طارق، انكشفتْ اللعبةُ بأكملها، وهذا سببٌ كافٍ لأتخلَّصَ منك، والآن هناك شخصٌ آخر لابُدَّ مِن موته.

كانت علاماتُ الاستغراب باديةً على وجهينا، قطعها عادل بانفعالٍ شديدٍ قائلًا:

- هذا الرجلُ قام باختطافك، لقد تابعتُ كلَّ شيء، هو مَن حبسكَ بهذا المكان، لقد راقبته منذ لحظة خروجِكَ مِن عيادته حتى وصولك إلى هذا المكان.

عقلي مشوَّشٌ ومرتَبِك، كلاهما يلقيان كلمات تزيدُ عدم استيعاب الأحداث، أكادُ أُجَن! هنا صرختُ بقوةٍ قائلًا:

- يكفي!

ثم أخذتُ زفرةً متقطِّعة بأنفاسٍ لاهثة، وقمتُ بالنظر إلى الطبيب الذي ما يزال يوجِّهُ مسدسه ناحيتنا، ثم نظرتُ صوبَ عادل، وقلت مستفسرًا:

- لقد كانوا هنا قبل قليل جميعًا، أين اختفوا؟

قاطعني الدكتور جمال وهو ما يزال يركِّزُ نظره ناحيتي:

- تقصدُ أهلك، والديك، وحبيبتك، وجريمة القتل التي ارتكبتها؟ للأسف عمليةُ التنويم المغناطيسي، أو التحكُّم في عقلك الباطن سَمِّها ما شئت لم تكتمل؛ بسبب تدخل صاحبك هذا الذي أفسدَ المهمة، لكن كلَّ شيءٍ باتَ واضحًا.

هنا نظرتُ إلى عادل، وقلت:

- عن أيِّ جريمةٍ يتحدَّثُ هذا المعتوه؟ كانوا معي للتو، هل قام بقتلهم؟ لا... لحظة... كيف يقتلهم وهم جمعيهم ميتون ما عدا أمي؟

أردف الدكتور جمال حديثه قائلًا:

- لا تتظاهر بالجنون والبلاهة، أنا أعرفك جيدًا، لولا دخولك الطب النفسي لكنتَ الآن وراء القضبان، لكنَّك أفلتَّ من جريمتك بعد أنْ وكَّلتْ والدتُكَ محاميًا بارعًا استطاع إثبات إنَّك تعاني مِن هلاوس نفسية، وحالةٍ من عدم الاستقرار، بالإضافة إلى محاولات الانتحار السابقة التي أثبتت لك في قسم الشرطة.

تدخَّل عادل مستفسرًا:

- تقصد أنَّ طارق قاتل؟

أجاب بكل ثقة:

- مع سبقِ الإصرار والتَّرُّصد.

حالةٌ مِن الصمت المربك، عينا عادل ما تزالا مندهشتين، وجَّهَ إليَّ نظراتٍ فهمتُ منها أنَّه يريد مني إثبات أو نفي ذلك، ليعود الطبيب مرةً أخرى ويكمل حديثه:

- طارق قتل زوجته دلال بعد اكتشافه لخيانتها، لكنَّ المحكمة تعاطفتْ معه كونه أقدم على جريمته بدافع الشرف، بالإضافة إلى أنَّ المحامي أضافَ إلى الملف ما يؤكِّدُ فيه أنَّ طارق يعاني مِن مرضٍ نفسي يُدعى ثنائي القطب دفعه للقيام بتلك الجريمة، ويملك ملفًا كاملًا بالطِّبِّ نفسي، وهناك العديد مِن محاولات الانتحار التي قام بها بالسابق قبل معرفته بدلال التي دخلت حياته، وجعلته كالخاتم بإصبعها، وحرضته على والدته التي طردها من منزله، لكنه اكتشف خيانتها بالصدفة في منزله على فراش الزوجية؛ ليقوم بقتلها وعشيقها، بعدها دخل بحالةٍ نفسيةٍ شديدة، فقدَ على إثرها جزءًا من ذاكرته من وقع الصدمة الشديدة التي حلَّت به، وقد قام المحامي بإدراجِ كلّ هذه الوقائع في ملف القضية؛ مِن أجل تخفيف الحكم عليه كونه ارتكَب جريمة قتل، لقد قضى أغلب فترة حكمه في مستشفى الطب النفسي، ليخرج بعدها إلى الحياة وهو يفقدُ جزءًا مِن ذاكرته؛ إذ طلب الأطباء مِن والدته عدم إيجاد عوامل تساعده على إثارة هذا الشيء من جديد، وإبقائها في عقله الباطن، وقد استطاعوا فعل ذلك؛ حيث قامت أمه بدفعهِ وإقحامه بالعديد من الأنشطة التي ساعد الناس على إثرها، فتطوَّع بتلك الجمعيات والمراكز التي أبقتْ كلَّ شيءٍ مكانه كجزءٍ من العلاج، وأبعدته عن كلِّ شيءٍ من الممكن أنْ يُثيرَ تلك الذكريات المريرة التي ستدفعه للانتحار بطريقةٍ ما.

هنا قطعَ عادل حديثه، وقال:

- ومن أين عرفت كلَّ هذه المعلومات عن طارق؟

أجابَ الطبيبُ عادلَ بثقةٍ مرةَ أخرى، وقال مع ابتسامةٍ ماكرة:

- لأنِّي أنا مَن كنتُ أشرِفُ على حالة طارق، وأنا مَنَ جلس مع محاميه قبل دخوله الطب النفسي، وأنا مَن كتب التقرير الكامل عن حالته، كنت أنا الطبيبُ المعالج له بعد أنْ جاءت لي والدته تبكي قهرًا عليه، وحكت لي القصة كاملة، ولم تخفِ حتى مشاعرها الحزينة حيالَ عقوقه! لقد قام بطردها من بيتها، لكنها الأم التي تنسى آلامها وأحزانها، وتترك كلَّ شيءٍ خلفها مِن أجل إنقاذ فلذةِ كبدها، لقد استطعنا بطريقةٍ ما تخفيفَ الحكم على طارق، ودمج الحالتين بعضهما مع بعض.

صدمةٌ تكاد تشقُّ رأسي، ومضاتٌ بعقلي تتحرك، مشاهدٌ تتراءى أمامي الآن: والدتي، زوجتي دلال، كل ما مرَّ، أشعرُ بذلك الثقل الكبير على صدري. من أين جاء الطبيب بكل هذا؟ ذكرياتٌ تنتفضُ مِن بين ركام عقلي الباطن وتحضرُ أمامي الآن، كنتُ كلَّ هذا! مجرمٌ عاقٌ أنانيٌّ أكرهُ الجميع!

قطع مرة أخرى الطبيب حالة الهياج النفسي في داخلي، وقال:

- زيارتك العيادة أثارت شكوكي، خاصة بعد الاتفاق الذي حصل بيني وبين والدتك في إبعادك عن كلِّ المؤثرات، تحرياتي عنك أثارت الريبة في نفسي، وبعد تأكدي مِن أنَّك على علاقةٍ وثيقة بالمدعو جلال (سارق الجثث) خلال تنويمك مغناطيسيا، وأنَّك تنوي الإطاحة بي، فكرت بقتلك، ودفن جميع الأسرار التي تحملها في رأسك، ويبدو أنَّ الأمر يستدعي في الوقت الحالي قتل اثنين بدلًا مِن واحد.

هنا تدخَّل عادل، وقال:

- لماذا تريد دفن تلك الأسرار، هل هي خطيرة إلى هذه الدرجة؟

تجاهل الطبيب سؤال عادل وأكمل حديثه قائلًا:

- ليس مُهمًّا معرفة الأسباب، المهم الآن أنَّكما ستموتان، وسيدفَنُ معكما كلَّ شيءٍ عرفتماه سواءً مِن جلال أو مِن غيره.

كانت لحظاتٌ مرعبة، والأصعب مِن الموت هو انتظاره، فوَّهةُ المسدس موجَّهةٌ ناحيتنا، لكن تدخُّل عادل السريع أنقذَ الموقف؛ إذ شتَّت انتباه الطبيب برميهِ شيئًا كان ممسكًا به في الجانب الآخر، وانقضَّ على جسده بحركةٍ سريعة، هنا انطلقَ عيارٌ طائِشٌ من مسدسه، لياقةُ عادل ونباهته أنقذتْ الموقف، لقد جثمَ على صدر الطبيب الذي سقط أرضًا، ووجَّهَ إليه عدة لكماتٍ أفقدته الوعي.

نظر عادل إليَّ وهو يلهثُ قائلا:

- لماذا تنظرُ إليَّ هكذا؟ هيَّا دعنا نهرب، الوضع لا يحتمل التأخير.

خرجنا مسرعين مِن المكان الذي لا أدري كيف وصلت إليه، وانطلقنا ناحية سيارة عادل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14

كانت الساعة وقت خروجنا من ذلك المكان تشيرُ إلى الثانية فجرًا، والشوارع شبه خالية من السيارات والناس، عادل يسير ولا أعرف إلى أين يتَّجه، كان يتحدَّثُ بغرابة، ولا أعلم هل يوجه إليَّ العتاب أم يلومني، يتكلم يتكلم بلا هوادة، فيما كنتُ شاردًا أتذكَّرُ تلك الحوادث التي حصلت لي قبل معرفتي بآمنة، أو معرفتي بعادل نفسه، محاولا تصديق تلك الحقيقة التي أخرجها ذلك الطبيب مِن عقلي الباطن، أنا مجرم! قتلت زوجتي، وطردت أمي من المنزل، ناهيك عن المعاملة السيئة التي كنت أتعامل بها مع والدي قبل وفاته، وغير ذلك من الأمور التي لم أجد لها أيّ إجابة! الحصيلة إنَّني برميلٌ مِن القمامة اجتمعت به كلُّ تلك الأوساخ، بعدما كنتُ أظنُّ نفسي ذلك الإنسان المثالي المغلوب على أمره، الذي يبحثُ عن ذاته ويريد ترميم نفسه، قاطع عادل موجة الصراع الذهني التي أعيشها بتلك الجملة قائلًا:

- دعنا نُكمل ما بدأنا بِه لا وقتَ لدنيا الآن، افتح الظرف التالي؛ لنرَ ما الخطوة القادمة ؟

أوه يا عادل! لقد نسيت آمنة وكلّ ما كنتُ أريده منها، ونسيت جلال ومهماتِه، إنَّ ما قالوه صحيح: المصيبة الصغيرة تنسيها مصيبةٌ وهمٌّ أكبر منها، يكفي ما يحدث لي الآن مِن توهانٍ داخلي.

أخرج عادل الظرف المراد فتحه غير مبالٍ بوضعي وحالتي غير المتوازنة مِن دِرج السيارة بعد توقفه يمين الشارع، وراح يقرأ ما كُتب فيه:

«أعلمُ جيدًا إنَّك الآن في مأزقٍ كبير؛ لأنَّ الشخص الذي تتعامل معه ماكرٌ وذكيٌّ، إذا كنتَ بخير أكمل مهمتك دون تردُّد؛ لأنك في إكمالها ستستطيع القضاء عليه وتدميره نهائيًا، في عيادته هناك العديد من التماثيل المنحوتة ببراعة، كلُّ ما عليك فعله هو تحطيم تلك التماثيل، احذر جيدًا! فما ستراه بعد إنهائك المهمة أمرًا خارجًا عن المألوف، تأهَّب جيدًا للنتائج وتماسك أمامها، كلُّ ما عليك هو التركيز بما تقوم به فقط، وبعدها ستعرفُ جيدًا كيف تتعامل مع الموقف، ركِّز فقط على تحطيم تلك التماثيل.

ملاحظة: إذا كنت بخير تأكَّد إنَّك في المراحل النهائية من المهمة».

نظرتُ إلى وجه عادل بعد انتهائه مِن القراءة، وكما هو معروف عن عادل لا يحبُّ تأجيل أمورٍ مثل هذه، قال بعدها بكلِّ حماس:

- هذا أفضلُ وقتٍ للتسلُّلِ إلى عيادة الطبيب، كونه الآن مرميًا في ذلك المكان فاقدًا الوعي.

لم أتحدَّثْ وقتها بأيِّ كلمة، كنت صامتًا أصارع ذاتي، أرتِّبُ تلك البعثرة التي حدثت في عقلي، كلُّ ما عملته لحظتها أنْ هززتُ رأسي بالموافقة، لأجد عادل يدير محرك السيارة وينطلق بكلِّ سرعته ناحية عيادة الطبيب.

كالعادة لم تكن لدينا أيُّ خطةٍ أو طريقةٍ لاقتحام المكان، وفور وصولنا وجدتُ عادلًا يذهبُ إلى صندوق سيارته، ويخرج منه قضيبًا معدنيًا طويلًا ومدببًا، أظنُّ أنّه خاصٌ بفك إطارات السيارة، طلبَ مني النزول، ورحنا نسير ناحية العمارة... أثناء ذلك كان عادل يشرح طريقةَ فتح الباب قائلًا:

- كلُّ ما علينا هو وضع هذا الشيء على طرفِ الباب ودفعه.

لم نفكر وقتها بأيِّ شيء سوى إتمام المهمة، واقتحام العيادة التي تقبع في إحدى العمارات التجارية المليئة بالعيادات الأخرى، وهو ما سَهَّلُ المهمة كون العمارة شبه خالية من الناس؛ لأنها غير مخصصة للسكن العائلي، كل ما علينا هو التسلُّل فقط، وبعدها كسر الباب.

لم أكن وقتها خائفًا أو مرتبكًا كما حدثَ لي في بيت الشيخ فرحان، الشعور الوحيد الذي يحدثُ لي هي تلك البعثرة العقلية التي حدثتْ عندما عرفتُ حقيقتي، بينما هناك حدثٌ آخر يجذبني لإتمامه، كنت تائهًا لأبعدِ حدٍّ!

وصلنا إلى مكان الشقة أو العيادة، راح عادل يُدخِلُ ذلك القضيب المعدني المدبب بين أطراف الباب، ويضرب بكلِّ قوته الشيء الجميل، إنَّ الباب زجاجيٌّ وعملية كسره سهلةٌ جدًا، فبعض الأبواب وجودها في المكان جماليٌّ فقط، وليست لحماية المكان، وأعتقد إنَّ مَن يُفكر بسرقة عيادة متخصصة في الحالات النفسية غبيًّا جدًا، مما يعني أنَّ اللصوص لن يفكروا بهذا المكان لا من قريبٍ ولا من بعيد.

المهم الآن إنَّنا استطعنا أنا وعادل فتح الباب والدخول إلى العيادة، وطبعا أول ما كان في استقبالنا تلك التماثيل التي تكاد تنطق، هنا قال عادل مستفسرا:

- ما الهدف مِن تحطيم تلك التحف الجميلة؟

لم أجب على سؤاله، عقدت حاجبيَّ فقط مُبدِيًا له عدم استيعاب الأمور.

وقفتُ عند أحد التماثيل الذي كان لرجلٍ يضعُ يده على وجهه وكأنه يبكي، وجالسٌ على ركبتيه، ثم قلت له:

- دعنا ننهي هذه المهمة، أريدُ الخلاص مِن كل هذا، عقلي يكاد أن ينفجر!

هزَّ عادل رأسه موافقا، وقال:

- اتفقُ معك، لنبدأ.

كان إلى جانب عادل تمثالٌ لامرأة تسقي الزهور، ضربَ ضربته الأولى وتناثر ذلك الجبس الأبيض على جانبيها، ثم ضربه مرَّةً أخرى... المصيبة أنَّ التمثال لم يتهاوَ، ولم يتحطم؛ بل مع كلِّ ضربةٍ يقوم بها عادل كنا نشعر إنَّ هناك شيئًا يجعل التمثال يتماسك بدلًا من أنْ يتهاوى، وبسبب الضرب المتواصل سقط أرضًا لكنه بقيَ متماسكا! واصلَ عادل المهمة، وبدأت أجزاءٌ من التمثال تتفتَّتْ مع كلِّ ضربة، حتى برز شيءٌ أبيض من تحته، لم يكن جبسًا إنَّه شيءٌ آخر مختلف، هنا طلبتُ من عادل التوقف؛ للتأكد من ذلك الشيء الذي برز مِن بين الحطام.

تقدَّمتُ ناحيته بهدوء، انحنيت ناحيته أدقِّقُ النظر؛ لأنَّ الضوء في المكان خافتٌ جدًا، أخرجتُ هاتفي النقال وفتحتُ الإنارة؛ لأرى تلك المفاجأة المدوية.

لم أصدِّق ما رأتهُ عيناي! قلت في نفسي: من الممكن أنَّ الظلام أو الحالة التي أمرُّ بها جعلتني أتوهم وأرى أشياءً غير حقيقية، لكن من باب التأكد قلت لعادل سائلًا:

- هل ترى ذلك الشيء الذي خرج مِن التمثال؟

انطلق عادل مسرعًا يبحث عن مفاتيح الإضاءة؛ ليتأكد معي مِن ماهية ذلك الشيء، فتحَ الإنارة، واتضح كلُّ شيءٍ أمام عيني، إنَّ ما أراه حقيقيًّا، إنَّها عظمةٌ! لكن لا أعلم أهي عظمةٌ حقيقيةٌ أم صناعية، السؤال الذي يدقُّ رأسي الآن: إذا كانت عظمة لماذا تمَّ إخفاؤها وراء هذا الجبس المحاط بالتمثال؟ نظرت إلى عادل الذي دائما ما يفاجئني بأفعاله غير المتوقعة؛ إذ أخذ يضرب رأس التمثال، وبعد تفتت الجبس أزاحه بيده، المفاجأة الأخرى كانت مدهشة! ظهرتْ جمجمة بمجرد أنْ أزاح الجبس! لم تكن صناعية أبدًا إنَّها جمجمةٌ حقيقية، واضحة التشكيل والبيان، هنا قال عادل مندهشًا:

- جلال يريدنا كشفَ حقيقة التماثيل.

عاد عادل يضرب بكلِّ قوته التماثيل الأخرى، لتخرج من داخلها تلك العظام التي بانت تظهر لنا بأشكال وأحجام مختلفة، استغرقَ الأمرُ أكثر مِن نصف ساعة، وبعد هذا الجهد توقفنا ونحن نترنَّحُ من التعب، قال عادل مرة أخرى:

- حان فتح الظرف الأخير.

هززتُ رأسي مؤيدًا كلامه.

أخرج الظرف، ثم بدأنا بقراءة ما كُتب بداخله.

«أعتقد الآن اتضحت الأمور اتضاحًا كبيرًا، المدعو جمال أو الطبيب جمال هو قاتلٌ متسلسل كما يبدو أمامك الآن، كان في البداية يتعامل معي، كنت

أسرق له الجثث التي كان يضعها خلف تلك التماثيل؛ من أجل إعطاء ما يصنع روحًا ودقةً أكبر، لكن بعد ذلك اكتشفتُ إنَّه قاتلٌ متسلسل يهوى القتل، يضعُ جثثَ موتاه خلف تلك التماثيل، حبٌّ لم أفهم مغزاه من ذلك الطبيب المجنون، أعتقد الآن أمامك العديد من الحلول التي من الممكن أنْ تراها مناسبة من أجل هذا الأحمق الذي يسمي نفسه طبيبًا نفسيًا، فهناك بشرٌ بحاجة إلى العلاج وهم يملكونه!

ملاحظة: المهمة الآن قد انتهت، وكل ما عليك هو انتظاري خلال الأيام المقبلة، آمل أنْ تعود بسلام».

نظر إليَّ عادل وقال بحماس:

- هذا المدعو جلال مجنون، لا أعرف كيف كان يتعامل مع هؤلاء المجرمين! لكن يبدو أنَّ لدي موضوعًا صحفيًا ساخنًا سيحقِّقُ لي النجاح الكبير.

لم أكترثْ لما قاله عادل أبدًا، كنت حائرا وخائفا في الوقت نفسه، لا أدري لماذا كلُّ هذا الخوف، وقد أتممتُ المهمة! أثناء هذا وبينما كان عادل يصور بكاميرته التماثيل، دخلَ الطبيب مرة أخرى، وهو يقول:

- كنت أعرف أنكما موجودان في هذا المكان، لكن هذه المرة لن تفلتا بفعلتكما.

سدَّدَ فوهة المسدس ناحيتنا بكلِّ تركيز، وعيناه يتطاير منهما الشرر والغل، أطلق مِن المسدس رصاصةً كادتْ أنْ تصيب عادل الذي ارتمى على الأرض سريعًا متحاشيًا إياها.

راح ينظر إليَّ بكل حقد، وهو يردد تلك الكلمات:

- لقد اكتشفا الحقيقة، ولابدَّ مِن دفنها ثانية بموتهما كما فعلتُ مع جلال. كنت متأكِّدًا إنَّ الرصاصة الآن ستصوب ناحيتي، وكما توقعت... أنا الهدف، سمعت صوتَ دويها الذي ملأ المكان، أغمضتُ عينيَّ بسرعة وأنا أقفُ مكاني مِن شدة الجزع أنتظرها أنْ تستقرَّ بإحدى أنحاء جسدي، هنا تنبهت، عادل كعادته لديه ردود أفعال سريعة ومباغتة، رمى بكلِّ جسده ناحية الطبيب وتعارك معه، كان الضربُ متبادلٌ، تارة تجد السيطرة دانت لعادل، وتارة أخرى تراها تدين للطبيب، لا أعرف لماذا لم أتدخل في هذه المعركة التي في حال انضمامي إليها ستكون من صالح عادل، هنا تفاجأت بأنَّ الطبيب هو الذي يسيطر على كلِّ شيء، بعدها وقف وأشهر المسدس بوجه عادل بكلِّ قوة وثبات، وهو يصرخ عليه قائلًا:

- اذهب ناحية صديقك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

15

كرر صراخه وهو يلهث بشدة بعد معركة شديدة كان قد انتصر بها للتوِّ على عادل، اقترب عادل ناحيتي وهو ينتظر الرصاصة التي ستنطلق مِن مسدس الطبيب، وهو ينظر إليَّ بكل حسرة! كانت عيناه تنطقان بألمٍ وكأنهما تقولان:

- يبدو إنَّ كل شيء سينتهي بهذا المكان يا صديقي!

وقتها كنتُ واضعٌ يدي في جيبي، لحظة.. هناك شيءٌ أتحسسه، إنه الخاتم الذي أخذته من الشيخ فرحان بعدما تمت السيطرة على الخادم شريار، تذكرتُ كلامه حين قال إنَّه في يوم الأيام سيردُّ الجميل الذي فعلناه له بعدما حررناه من سيطرة الشيخ فرحان، وتذكرت عندما قال:

- إذا ما أردتني فكلّ ما عليك هو المسح على الخاتم وترديد اسمي.

بالفعل قمتُ بذلك الأمر وأنا بحالةِ يأسٍ خاصة إنَّنا أصبحنا بمواجهةِ مع الموت المحتوم، لا أجد أمامي سوى هذا الحلّ الذي من الممكن أنْ يُنقِذنا من هذا المأزق. من داخل جيبي رحت أتحسَّسُ فصَّ الخاتم، ثم ذكرت اسمه، وما هي إلا ثوانٍ حتى دارت زوبعةٌ كبيرةٌ بالمكان، دقائق حتى وجدته يقف بكامل هيئته وهيبته، ليقطع موجة الترقب قائلًا بصوته الخشن:

- يبدو إنَّك في مأزقٍ يا طارق.

تلفَّتَ الطبيب يمينًا وشمالًا يريد معرفة مصدر الصوت، ثم قال بقلقٍ:

- أنتما تعرفان شريار؟

لم نجبه، و بالوقت نفسه التفتُّ نحو الخادم شريار الذي ظهر فجأة أمامنا ، وقلتُ سريعًا.

- شريار، خلصنا من هذا الرجل!

حرك شريار رأسه كأنَّه فهم الوضع العام، وماهي إلا ثوانٍ حتى اختفى المسدس مِن يد الطبيب، بعدها شعرنا أنَّ جسد الطبيب قد تجَّمد، رأينا الذعر والخوف يرتسمان على وجهه، وكما هي عادة شريار، لاحظنا إنَّ جسم الطبيب يرتفع للأعلى، ثم بدأ بالصراخ، وهو يردِّد:

- لا أريد الموت، أرجوكما...! أريد أنْ أعيش، لن أقتلكما صدقاني.

وبينما كنت أترقب مقتل الطبيب سمعتُ صوت صديقي عادل وهو يقول:

- شريار، لا تقتله، كلُّ ما أريده منك الآن أنْ تقيِّدَهُ؛ حتى يتسنَّى لنا تقديمه للعدالة، قتله لا يفيدنا بأيِّ شيء.

هنا نظرتُ إلى عادل باستغراب أريد تفسيرًا لطلبه بعدم قتل الطبيب! لكني لم أتكلم، أنزل شريار جسدَ الطبيب مقيَّدًا بالكامل.

نظرتُ إلى المكان مجدَّدًا أبحث عن شريار، لكني لم أجده، لقد اختفى تماما من المكان، وكأنه علمَ أنَّه أتمَّ مهمته على أكمل وجه.

قال لي عادل:

- خذ مفتاح السيارة وعُد إلى منزلك، سأتحدَّثُ معك غدا، واترك باقي المهمة لي، شكرا لك يا صديقي، لقد أعطيتني موضوعًا صحفيًا رائعًا مع الدلائل!

خرجتُ من العمارة عائدًا وبرأسي ألفُ سؤالٍ وسؤال، لماذا حدث كلُّ هذا؟ لو كنت أعلمُ بتلك المهمات التي أوكلها لي جلال هل كنتُ سأوافق؟ هناك العديد من الحقائق التي عرفتها عن نفسي، ماذا لو لم يكن معي عادل، ماذا كان سيحصل لي؟ القدر يُكرمك بعطائه، ويهينك مراتٍ، لا أعرف ما فلسفته! السؤال الأخير والمهم، هل سيوفي جلال بوعده لي ويجعلني أتحدَّثُ مع آمنة؟

كلها أسئلةٌ كان يعجُّ بها رأسي، والأهم من هذا كله إنَّني قد أتممتُ المهمة دون أنْ أتعرَّض لأيِّ مكروه. يقف القدر إلى جانبك مرات عديدة دون سابق إنذار، المهم إنَّني أنوي بعد هذا كلِّه فتحَ صفحةٍ جديدة مع نفسي وحياتي والناس، لا أريد تعكير صفوَ حياتي بأشياء غير مهمة.

وصلتُ إلى المنزل وأنا كلي أمل أنْ ألتقي بجلال اليوم؛ حتى ألتقي مرةً أخرى بحبيبتي آمنة، وأسألها لماذا فعلت كل هذا؟ لماذا قتلت نفسها؟ فأخمد نيران أشواقي التي تستعرُ داخلي ما بين الحين والآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

16

عندما تنتظرُ شيئًا ما تشعرُ بأنَّ كلَّ العالم ينتظر معك، ولا أدري لماذا الوقت يمرُّ بطيئًا مُمِلًّا، والذي يزيد هذه الأشياء ترقُّبًا اعتقادك أو حدسك الذي يقول لك:

- لقد اقتربتَ مِن موعدك المنتظر الذي فعلتَ له المستحيل مِن أجل تحقيقه.

هنا تشعرُ بقلقك وتوترك يتزايدان مع كلِّ دقيقةٍ تمضي، لا أعلم لماذا يحصل هذا الشيء مع كلِّ حالةٍ مشابهة.

وأعتقد أنّ هذين الإحساسين لا يقتصران على نفسك فقط؛ بل ينتقلان لجميع من حولك، كم أكره الانتظار!

مرَّ يومٌ كاملٌ مِن ليلتنا مع الطبيب، اتصلَ بي عادل وأخبرني إنَّ الطبيب قد تم القبض عليه بتهمة القتل، خاصة بعد كشفهم لتلك الجُثث التي أُخفيت وراء التماثيل، وأخبرهم عادل بأنه هو مَن كان يتابعُ الموضوع مِن البداية حتى استطاع التوصُّلَ إلى الحقيقة التي كاد أنْ يفقدَ روحه بسببها لولا عناية الله.

يقول عادل: راح الطبيبُ يصيح بأعلى صوته، ويُبَيِّنُ للشرطة إنَّ عادل اقتحم المنزل مع زميلٍ له بدافع السرقة، وإنَّهما كانا يتعاملان بالشعوذة، إلا أنَّ عادل أوضح لهم إنَّه اقتحم المكان وحده بدافع كشف الحقيقة بعد شكوكه الخاصة بما وراء التماثيل، التي لم يتأكد منها إلا بعد تحطيمها. كم هو خبيثٌ هذا الطبيب! يريد إقحامنا بالقضية، ليسير على مبدأ عليَّ وعلى أعدائي.

أجمل ما في هذه المغامرة هو إنَّني كسبتُ صديقًا مثل عادل يملك مهاراتٍ عالية بكلِّ شيء، لقد استطاع أخيرًا الحصول على ذلك الموضوع الصحفي الساخن الذي طالما أراد الكشف عنه، والذي لن يكتمل إلا بعد أنْ ألتقي مع المدعو جلال الذي ما يزال غائبًا عن مسرح الأحداث رغم حاجتي الكبيرة إليه.

نعم، نسيتُ أنْ أقولَ لكم شيئًا مُهمًّا فعلته؛ حتى أريح ضميري الذي بات يؤنبني من ساعة معرفة الحقيقة، ذهبت إلى والدتي التي ما تزال تتظاهر أمامي بشخصية الأم الطبيعية، وأنا أعلمُ كم هي متأثرة مِن تصرفاتي السابقة، لا أدري بأيِّ وجهٍ أنظر إلى عينيها!

أتذكَّر إنَّني لم أحضِّر جيدًّا لذلك اللقاء، كلّ ما فعلته هو أنْ ارتميت بكلِّ جسمي في حضنها، ذلك جسم الشاب الكبير يرتمي بحضنِ امرأةٍ تجاوزت

الخمسين من عمرها، كنتُ أبكي وهي تمسحُ على رأسي بكلِّ رفق، شعرتُ للحظةٍ بحنان العالم كلِّه اجتمع بين يديها.

الكلمة الوحيدة التي خرجت مِن عبراتي المتقطعة كانت:

- أنا لا أستحق أمًّا مثلك، لقد عرفت كلَّ شيءٍ يا أمي!

لم تتحدثْ ولم تلمني أو تعاتبني أو حتى توبِّخني، ويا ليتها وبَّختني! كلُّ ما قالته:

- انسَ يا حبيبي، أنا أريدك أنت ولا أريد عيوبك، وها أنت تعود مِن جديد وهذا بحدِّ ذاته جائزةٌ كبيرةٌ لي.

لم أجدِ أي كلمةٍ أصفُ بها قلبَ أمي سوى أنَّني عبَّرت لها عن خطئي بالبكاء، هذا كلُّ ما أملك.

هذه كانت حكايتي مع أمي، وأعلمُ جيدًا إنَّني ما أزال أشعرُ بالذنب حيالها رغم ابتسامتها الصادقة في وجهي.

هذا كلُّ ما حدث مع أمي، لكن الحدث الأهم ما حصل بعد عودتي منها؛ إذ لم أكن أتوقع زيارة جلال لي في هذه الليلة، كنت شاردًا متأثِّرًا من زياراتي لوالدتي، كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساء، وكنت أجلِسُ على سريري، التلفاز يعمل دون صوتٍ كالعادة، والغرفة شبهُ مظلمة، وبالكاد نسيتُ جلال و مفاجآته، وما بين الصاحي والنائم لم أشعر إلا بتلك الورقة وهي تسقط مِن أعلى السقف إلى وسطِ السرير بكلِّ هدوء.

هنا تنبَّهت، وشعرت إنَّ كلَّ حواسي قفزت معي، النُّعاس الخفيف فوق جفوني قد طار، إنَّها الورقة التي كانت تأتي مع تلك المخلوقات التي تزورني بوقتٍ سابق، تذكرون تلك الجلسة التي عقدتها مع أصحابي والتي نتج عنها أشياء غريبة؟ منها تلك الرسائل التي كُتِبتْ كتابةً سيئة وبشعة في الوقت نفسه، والتي لم أفهم منها شيئًا، جاءت مرة أخرى بعد غياب.

مددتُ يدي المرتجفة بهدوءٍ ناحيتها، كنتُ أتلفت يمينًا وشمالًا، الغريب هذه المرة إنَّ الزيارة لم تكن مصحوبة بزوبعة أو مقدمات مخيفة، هذه المرة الورقة جاءت وحدها دون أيِّ مقدمات، نظرت للمكتوب عليها، كانت جملةً غريبة وغير منطقية بالنسبة للأحداث:

- يالَك مِن إنسان ساذج وغبي، وستبقى كذلك للأبد.

هذا ما كُتِب داخل الورقة، لا أدري ما المقصود! درتُ بعينيَّ في الغرفة أبحثُ عن تلك الأشياء أو المخلوقات، لا أدري ما سبب هذه الشتيمة!

- أشفيتَ غليلي وأرحْتَ قلبي يا صديقي العزيز.

هنا تنبَّهتُ لتلك الجملة التي جاءت مِن جانبي الأيمن عند الكرسيِّ الكبير، إنَّه صوت جلال إنِّي أعرفه جيدًا، هنا قلت:

- جلال، هل أنت موجودٌ بالغرفة؟

ضحك بهدوءٍ وقال:

- نعم، أنا معك، صدقني لو أستطيع احتضانك لفعلت نظير نجاحك في مهمتك، لكن كما تعلم أنا الآن روحٌ هلامية أدورُ بفضاءِ غرفتك فقط.

كنتُ صامتًا أترقَّب.

- آآآآخ يا طارق! كان مِن الأفضل لو تركتَ شريار يقتله، لكنَّ الفضيحة والسجن أيضا طريقةٌ للتعذيب النفسي، فهو يستحِقُّ ما يحصل له.

قالها جلال وهو يقصد الطبيب النفسي.

هنا قطعتُ لحظةَ انتعاشه الذهني وفرحته، وقلت:

- لماذا كلُّ هذا الحقد الشديد على الطبيب والشيخ فرحان؟

قال جلال بحسرة:

- آهٍ يا طارق! لو كان لديَّ جسدٌ لفعلتُ بهما أكثر من ذلك، الانتقام وحده لا يكفي لهما.

قلتُ مستفسرًا:

- ما الذي فعلوه بك فجعلك تحقد عليهما كل هذا الحقد، وتريد الانتقام منهما بقسوة؟

قال جلال وهو يصدرُ صوتًا خفيفًا:

- بفترةٍ ما... في ساعاتٍ ما... كنتُ ساذَجًا وغبيًّا... والنتيجة إنَّ الطبيب جمال قتلني بطريقةٍ ذكية.

قلت مُستفهمًا:

- تقصدُ أنَّ الطبيب جمال هو مَن قتلك؟

قال بحزمٍ وحسرةٍ:

- قتلني شرَّ قتلة، بعد تخديره لي وتحكُّمِهِ بعقلي دسَّ السُمَّ بكلِّ أنحاء جسدي، ومتُّ ليقومَ بتقطيع جسدي قطعةً قطعة، ثم تركها في شقتي، أذكرُ

آخر كلماته التي ما تزال عالقةً في ذهني:

- هيكله لا يستحقُّ أنْ يكون بين هياكل تماثيلي.

قلت له مُستفسرًا:

- لماذا فعلَ بك كلُّ هذا، علمًا إنَّك كنتَ مصباحهم السحري الذي يُحقِّقُ لهم ما يريدون؟

هنا سمعتُ تنهيدةً طويلة، ثم قال:

- كنتُ ساذَجًا رغم ذكائي وفطنتي، لم أتصور غدرهما السريع لي، ولم أظنُّ إنَّهما على اتصالٍ مع بعضهما، خاصةً بعد سرقة الخاتم الذي بسببه فقدتُ بعضَ مهاراتي، كنت أعتقدُ إنَّهما جبانان لا يستطيعان فعلَ أيّ شيءٍ من دوني.

سألته:

- كيفَ أقدما على قتلك؟ لا أريد هذه المقدِّمات.

أجابني:

- كان الاثنان مرتبطان بمشعوذٍ آخر قليل الخبرة والحِنكة، وهو الذي أفهمهما إنَّ قتلي سَيُسهِّلُ مهمة التحكُّم بالخادم شريار وترويضه، كانا يظنان أنَّ بمجرد قتلي ستُحَلُّ جميعَ المشاكل، وسيتحرران مِن قبضتي وسطوتي عليهما، وإنَّه بمجرد موتي ستُتَاح لهما جميع الأشياء، وسيتحكَّمان بكلِّ شيء، الغبيان لا يعلمان إنَّ هذا العالم يحتاجُ خِبرةً كبيرةً، وأيُّ خطأ حتى لو كان صغيرًا سيدفعان ثمنه سريعًا.

قاطعته مرةً أخرى بحزمٍ:

- يبدو إنَّك كنت ديكتاتوريا معهما.

أجاب بهدوءٍ:

- كنت أدهي من ذلك؛ بسبب مطالباتي وشروطي التي لا تنتهي، والتي كان آخرها تهديدي بفضحِ الطبيب جمال عن جرائمه التي يرتكبها، الأمر الذي جعلهما يعقدان العزمَ على قتلي.

انتهزا الفرصة بعد قيام الطبيب بعمليةِ تنويمٍ مغناطيسيٍّ على ما أعتقد، والتحكُّم بعقلي الباطن، ومن ثم قتلي بالطريقَة التي عرفتها وانتشرتْ في الصحف.

لك أنْ تتصور الآن كمية السعادة التي أملكها! لم أتوقع إتاحة الفرصة لي والانتقام منهما، هل تعلم أنَّ الانتقام حياة؟

أخذتُ نفسًا عميقًا، أدرتُ وجهي في الغرفة متحسِّسًا مكان وجودهِ، وقلت:

- جلال، لقد أتممتُ مهماتي بنجاح وأوفيت بوعدي لك، والآن جاء دورك لتفي بوعدك.

قالها جلال بثقة:

- تقصد لقاءك مع آمنة؟

- نعم، هذا هو المطلوب منك الآن!

قلتها بحماسٍ شديدٍ.

أجابني جلال بصوتٍ منخفضٍ وهادئٍ:

- يبدو إنَّ اللحظة الحاسمة قد حانَتْ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

17

الهدوءُ المُتعِب عمَّ المكان بعد انتهاء جلال من جملته، ناديته أكثر مِن مرة، ولم أجد منه أيّ إجابة، قلتُ بداخلي: هل نكث وعده وهرب؟ لقد أوفيت بوعدي له، وهو الآن يرحل دون إنذارٍ مسبق.

مرَّتْ دقائقُ كأنَّها الدهر على الصمت الذي أكرهه، ومن ثم تنبَّهتُ للنوافذ وهي تُفتح فَتحًا سريعًا، تفاجأت مفزوعًا ونظرتُ برعبٍ، بعدها دخلتْ موجةُ هواء قوية تطايرتْ الستائرُ بسببها بقوةٍ، شعرتُ بأنَّ موجة الهواء القوية بدأت تدور بالغرفة، لماذا يحصل كلّ هذا؟

تساقط أثاثُ الغرفة: الكراسي، والطاولات، والأشياء المعلقة كاللوحات، وفُتِحتْ أبواب الدواليب من نفسها، عمَّتْ الفوضى المكانَ كلَّه، وأنا جالسٌ على سريري أنظرُ بذهول لما يحدث! ما هي إلا ثوانٍ أخرى حتى شعرتُ أنَّ جسدي يرتفعُ عن السرير وكأنَّني أسبحُ بفضاءِ الغرفة، حاولتُ الاتِّزان لكني شعرتُ وكأني وسطَ حمَّام سباحة أحرِّك يديَّ وقدميَّ تحريكًا عشوائيًا مصارعًا الغرق، بينما هناك قوى خفية تعبث معي، الزوبعة تدور بالغرفة دورانًا كبيرًا، والاضطراب والخوف والفوضى ينتشرون في المكان، وقتها لم أتفوَّه بكلمةٍ واحدة، كنت مندهشًا، وأطرافي ترتعد، وفجأة توقَّف كلُّ شيء، وعدتُ مرةً أخرى لمكاني بعد سقوطي المباشر على السرير، ليعمَّ الهدوء مِن جديد، وعيناي تكادان تخرجان مِن محجريهما وهما تتحركان يمينًا وشمالًا بأنفاسٍ متلاحقة، إلى أنْ لفت انتباهي تلك الورقة التي بدأتْ تهوي بهدوءٍ كما العادة وسط السرير، مددتُ يدي إليها بسرعةٍ بالغة، ولم أجد بها سوى كلمةٍ واحدة:

(غبي!).

لماذا تتكرر تلك الأشياء كل مرة دون أيِّ إجابة واضحة، لحظة... إنَّها تلك الروح التي كانت تتلاعب بي في وقتٍ سابق، إنَّها تعود من جديد، ألم يقل جلال إنَّه أوقفها؟ لماذا تعودُ مجدَّدًا لتتلاعب بي؟ يكاد رأسي أنْ ينفجر!

- ألم أقل لك ستبقى إنسانًا ساذجًا وغبيًا طوال حياتك؟

من أين أتت هذه الجملة، وما ذاك الصوت الذي نطق بتلكِ الكلمات؟ إنه ليس صوت جلال، إنَّه صوتٌ أنثويٌّ ناعم، هنا تكلمتُ بارتباكٍ قائلًا:

- مَن أنتِ؟ ولماذا تكررين هذه الجملة؟ هل أعرفك حتى تنعتينني بهذا الكلام؟

لم أجد أيّ إجابةٍ واضحة، وبينما كنتُ أبحثُ عن الإجابات الواضحة لما يحدث تكرَّر الصوت مرةً أخرى، وقال:

- قرارُ إنهاء حياتي لم يكن قرارًا خاطئا، إنَّه أفضلُ مِن العيش مع إنسانٍ تافهٍ ذي تفكيرٍ محدود، يرمي بجسده في أيِّ حضنٍ يراه أمامه، يبحثُ عن حنانٍ ضائع، يريد ملء ذلك الفراغ الذي تركته له عائلتَه.

لحظة... إنَّني أعرف هذا الصوت، صوتُ آمنة! إنَّه صوتها... أعرفه وأميزه جيدًا، لقد وفى جلال بوعده، والآن هو يرسل لي روح آمنة، لكن، لماذا تتحدثُ بهذه الطريقة؟ أين الحب الذي جمعنا مع بعض؟

بدأت الأضواء من جديد تترنح ما بين خافتٍ وقوي، مع ومضاتٍ غيرعادية، هنا قلت:

- آمنة، هل أنت موجودة حتى الآن في الغرفة؟ أرجوك يا حبيبتي أجيبيني!

انتظرتُ حتى قُطع ذلك الصمت قائلًا:

- ألم أقل لكِ إنَّه أغبى شخص واجهته في حياتي؟ حتى هذه اللحظة يردِّد كلمة حبيبتي لك.

ثم راح يضحك بصوتٍ عالٍ، إنه صوت جلال!

هنا قلت بغضب؟

- لماذا تصفني أنت أيضًا بالغباء؟!

ردَّ جلال قائلًا بثقة:

- لأنَّك غبيٌّ كبيرٌ وساذجٌ بالفعل، آمنة لم تحبك منذ أنْ كانت روحها في جسدها في الدنيا، وحتى بعد موتها أو انتحارها.

لم تكن إجابةُ جلال واضحة، شعرتُ ببعض التشويش الذي يكاد يفتك بعقلي، لماذا يتكلم بهذه الطريقة؟

هنا تحدثتْ آمنة مرةً أخرى قائلة:

- طارق، اسمعني جيدًا، أنت لم تكن ذلك الرجل الذي أحلم به؛ لأنك بكلِّ صراحة إنسانٌ تافه.

لماذا يا آمنة تتحدثين معي هكذا؟ شعرتُ بإحباط شديدٍ وخذلان، بعدها قلت:

- لا، أنتِ لستِ آمنة التي أعرفها، جلال... أنت تخدعني وتجلب لي روحًا أخرى غير روح آمنة، إذا لم تستطع جلبَ روحها أخبرني بذلك.

راح جلال يضحك بصوتٍ عالٍ ثم قال:

- ألم أقل لكِ يا آمنة هذا الرجل لا يريد معرفة الحقيقة؟ اسمعني جيدًا يا طارق، أنت كما قلتُ لكَ: غبيٌّ... ألم تسأل نفسك لماذا آمنة أقدمت على الانتحار دون سابق إنذار؟ ركِّز جيدًا وارجع بذاكرتك للأحداث منذ البداية.

هنا بدأت أعيد ترتيب أفكاري، وقلت:

- مِن أجلِ هذا أدخلتُ نفسي في كلِّ هذه المتاهات؛ لمعرفة سبب إقدامها على الانتحار، بالإضافة لشوقي الكبير لها.

قاطعني جلال بحدَّةٍ وسخرية بالوقت نفسه قائلًا:

- طارق، آمنة كانت عشيقتي عندما كنَّا على قيدِ الحياة، هل فهمت الآن؟!

قلت له بذهولٍ غير مصدِّق:

أنت تكذب! آمنة كانت حبيبتي وحدي، وكنَّا على وشك الزواج، آمنة قولي له الحقيقة، أخبريه قصة الحب التي جمعتنا في ذلك المركز.

عاد جلال وقال:

- اسمع ... اسمع... لو تذكرت تاريخ قتلي ستعرفُ أنَّ كلامي حقيقيًا، آمنة كانت تعشقني لحدِّ الجنون، وعندما عَلِمتْ بموتي أقدمتْ على الانتحار؛ لأنها لم تستطع العيش من دوني، هل فهمت الآن؟ هل عرفت السببَ الرئيسيَّ وراء انتحار آمنة؟

هزَّتْ الصدمةُ كلَّ أطراف جسمي، شعرتُ بخفقانٍ سريع بقلبي، هل كنتُ مخدوعًا طوال الفترة الماضية؟ آمنة كانت تتلاعب بي هي وجلال طوال هذا الوقت؟!

أردف جلال حديثه قائلًا:

- وحتى تتأكد أكثر، أريد تذكيرك بشيءٍ مهم، وبالتحديد عندما طلبتَ مِن آمنة الزواج، هل تذكر ماذا قالت لك؟ لقد طلبتْ التأجيل، في رأيك، هل يوجد فتاة ترفض طلبًا مثل هذا إذا لم يكن لديها أحدٌ يشغل بالها وتعشقه؟ أفهمت الآن؟!

هنا قالت آمنة بحزمٍ:

- طارق، اسمعني جيدًا، عندما تعرَّفتُ عليك بالمركز التأهيلي، كنت أتعاطفُ معك لا أكثر ولا أقل، أحاول مساعدتك ومساعدة نفسي، كوني خارجة للتو مِن حالة نفسية قوية، في هذه الفترة تعرَّفتُ على جلال الذي ملكني وشعرتُ إنَّه ملأ حياتي كلها، على عكسك، كنتَ رجلًا ناقصًا وليس من النوع الذي يعجب النساء، لا تعرف كيف تتعاملُ مع جنسنا، شعرتُ إنَّك تريد قذف

نفسك في أيِّ حضنٍ تراه أمامك، وأيضا لديك معلومات عديدة خاطئة عن الحب، الحبُّ يا صديقي لن تعرفه جيدًا إلا إذا تربيت عليه أو جربته، وكما أعلم فأنت لم تشعر به ولم تعرفه؛ بسبب مشاكل أبويك العديدة، ثم مشكلتك مع زوجتك التي خانتك، وأعتقد إنها فعلت ذلك للسبب نفسه الذي لم يجعلني أتقبلك؛ إذ شعرتُ بأنانيتك وحبك لذاتك.

لم أجب عليها، كنت في حالة تشويشٍ كبيرة، لا أكاد أصدق ما يحدث، كنتُ أردِّدُ في نفسي: هل أنا أنانيٌّ كبيرٌ غابت عنه الحقيقة؟ هل بالفعل لم أعرف الحب أو أتذوقه؟ هل أحببتُ نفسي أكثر مِن اللازم فلم أشعر بالآخرين؟ هل أردتهم أدوات أحيطهم حول نفسي لأشعر بالأمان؟

قال جلال موضحًا بعض الأمور:

- هل تذكر عندما قمتَ أنت وأصدقاؤك بتلك التجربة التي كنت تريد مِن خلالها مخاطبة روح آمنة؟ لقد نجحتم بالفعل بعد تطبيق كافة الشروط، لكنَّ آمنة عندما جاءت أرادتْ أنْ تنتقم منك بالذات، وأنْ تدخلكَ بحالةٍ نفسية جديدة وإسكاتك للأبد، ولولا حصولك على ذلك الكتاب، لكنتَ الآن بخبر كان؛ لأنَّني طلبتُ من آمنة الصبر حتى نستطيع توظيفك من أجل أنْ تنتقم من الشيخ فرحان والطبيب فارس، وفعلًا كنت خيرَ عونٍ لي، ولم تكن طلباتك بتلك الصعوبة، وها أنا الآن أحققها لك.

هنا صرختُ بأعلى صوتي:

- يكفي! أنتما كاذباااان! إنها ليست آمنة، أنت كاذبٌ ومخادعٌ كبير يا جلال!

ضحك جلال وقال:

- أعرفُ ذلك يا صديقي، لم تقل شيئًا جديدًا .

لم أستطع مواجهة هذا الكمّ من الخيبات، ودون شعور راحت دموعي تتساقط بقوة، بكيتُ بصوتٍ عالٍ حتى النحيب، شعرت بحالة اضطرابٍ نفسيٍّ شديد، نشَّطتْ كلُّ الأشياء التي حصلت لي بالسابق ذاكرتي، كلّ شيء كلّ شيء: والدي، أمي، زوجتي، الطبيب جمال الشيخ فرحان ، حالات الانتحار التي أقدمتُ عليها، والعديد من الحكايات التي ظهرت كلها فجأة في عقلي.

قالت آمنة بحزم:

- بعد معرفتك بكلِّ هذه الحقائق، كلُّ ما عليك الآن وضع علامة خطأ (×) تحت اسم جلال؛ حتى تغلقَ تلك البوابات التي فتحتَها خلال الفترة الماضية، وإذا لم تفعل ستحصلُ لك أمورٌ في غاية الغرابة والرعب، أظنُّ يكفي ما حصل لك.

استمررتُ بالبكاء، ورحتُ اتلفَّت يمينًا وشمالًا كأنَّني أبحث عنهما، تمنيتُ لو كانا أمامي؛ لأقتلهما مجدَّدًا، وأمزقهما تمزيقًا!

قال جلال مرة أخرى:

- مع السلامة يا صديقي، فكِّر بنفسك جيدًا، ولا أريد الالتقاء بك مرةً أخرى، ونفِّذ ما قالته لك آمنة؛ حتى تسلمَ نفسك.

عمَّ الهدوءُ المكان، هدوءٌ منقطع النظير، هدوءٌ مُتْعِب، مُتعِب أكثر مما تتصورون!

يالي مِن غبيٍّ ساذج! جلال وآمنة لم يقولا سوى الحقيقة، وأنا لا أريد تصديقها.

الحقيقةُ دائمًا ثقيلة إذا كانت مؤلمة، لكنها تبقى حقيقة تجثم على صدري لا مفرَّ منها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

18

كلٌّ منا بعد بكاءٍ طويل سيشعرُ بحالة نقاءٍ نفسي، وكأنَّ الدموع هي المنقِّي الوحيد لكلِّ حالة اضطراب روحيٍّ، كانت حالة الجمود، والتناقضات النفسية، والدموع كاليدِ التي تربتُ على كتفي بعد حالة الخيبة التي شعرتُ بها، صدمتي بالحقيقة كوني كنت مغفَّلًا أسيرًا وراء قلبي الذي لم يوصلني إلا إلى التعاسة، آه! إنَّها حقيقةٌ واضحة، على قدرِ العطاء تأتي الخيبات.

مددتُ يدي نحو الكتاب، فتحته على الصفحة التي كتبتُ بها اسم جلال، نظرتُ وأنا أردِّد في داخلي: ليتني لم أكتب اسمك يا جلال! هناك أشخاص لا تجد بهم الصفات النبيلة لكنهم يدلونك على نفسك التي تتوارى داخلك، وجلال أحد هؤلاء.

لا أدري لماذا طرأت برأسي فكرة أعلم إنَّها غير منطقية، لكنها هي الشيء الوحيد الذي مِن خلاله أستطيع التصالح مع ذاتي نوعًا ما.

توجَّهتُ مباشرةً نحو مستشفى الطب النفسي، وتحدَّثتُ مع أحد الأطباء، وشرحت له حالتي، لم يتردد الطبيب في إبقائي في المستشفى؛ لمراقبة حالتي مباشرة، كل ما أذكره من قوله:

- إنهُ نوعٌ مِن الاضطراب النفسي، سنعمل على معالجته.

مرَّ شهرٌ كامل وأنا أعيش بين جدران المستشفى، أراقبُ كلَّ الحالات الموجودة التي تمرُّ بظروف مشابهة، حتى جاء ذلك اليوم الذي أخبرتني فيه الممرضة إنَّ هناك زيارة خاصة في غرفة الطبيب، توجَّهتُ ناحيتها وفور وصولي...

تفاجأت بوجود صديقي الصحفي عادل الذي عاتبني كثيرا؛ بسببِ غيابي، كانت عيناي ذابلتين.

نظر إليَّ عادل وفي عينيه آثار الحزن؛ بسبب الحالة السيئة التي وجدني عليها، وتحت إبطه جريدة، لم نتكلم وقتها، إلا أنَّ عادل فتح الجريدة التي كانت معه، ثم قال لي:

- اقرأ الموضوع الذي كتبته في الجريدة عنك.

كان المانشيت عريضًا وواضحًا .. (سارق الجثث يعود إلى الحياة).

ابتسمتُ بهدوءٍ وبداخلي فرحة؛ لأنَّ عادل حققَّ هدفه المنشود، ولم أكترث للخبر أبدًا، المهم إنَّ عادل حققَّ ما يصبو إليه.

ثم قمتُ وأمسكتُ يده وتوجَّهتُ به نحو غرفتي في المستشفى، ومن أحد الأدراج أخرجتُ الكتاب الذي بسببه حدث كل شيء، وقلت له:

- بعد الانتهاء من تلك المهمات واكتشاف الحقيقة المرة، طلبَ مني جلال وضع علامة (×) من أجل إغلاق البوابة، ومن هول الصدمة التي كنتُ تحت تأثيرها آنذاك نسيتُ فعل ذلك، لكن قبل كلِّ هذا... أتذكر حديثك عن اللامنطقية؟

نظر لسقف الغرفة يحاول التذكر، ثم قال:

- نعم، أذكرها.

أجبته مع ابتسامةٍ بائسة:

- بالفعل اللامنطقية هي مَن تدلُّك على الحقيقة المنطقية.

لم يفهم كلامي جيدًا، ولم يقل سوى جملةٍ واحدة:

- هل قابلتَ آمنة وعرفت الحقيقة؟

لم أجبه في ذلك الوقت، فتحتُ الكتاب ورحتُ أنظر إلى الصفحة المراد وضع علامة (×) داخلها، أخرجتُ القلم، وعادل ينظر إليَّ باستغرابٍ، رفعت رأسي ونظرتُ إلى عادل ووضعت العلامة داخل الصفحة.

أشعرُ بدوارٍ ثقيلٍ داخل رأسي، أشياءٌ عديدة تتلاشى أمامي: الأثاث، الحيطان، عادل، الكتاب، وكأنني أنسحبُ من هذا المكان والزمان والوقت، كلُّ شيءٍ يتلاشى، ودوارٌ عظيم في رأسي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المكان: المقهى الصغير الذي قابلتُ به صديقي البدين، ذلك الشخص الذي دلَّني على الكتاب في بداية القصة، والذي راح ينظر إليَّ بذهولٍ وغرابة، الكتاب الضخم أمامي على الطاولة، أشعرُ بحالةِ تشويش، واضطرابٍ بعقلي، وكأنَّ أحدهم ينهش دماغي بضراوة، قطع سعد لحظةَ الصمت، وقال:

- العشرة أيام مرَّتْ بسرعة كبيرة يا صديقي، يبدو إنَّك صاحب مواعيد دقيقة، هل وجدت اسم ومواصفات الميت الذي لا تعرفه؛ حتى نبدأ مهمتنا بهذا الكتاب، وندخل عالم الأرواح، فصاحبه متشوِّق لمعرفة ما إذا كان الكتاب يعمل جيدًا.

رحتُ أنظرُ إليه بشرودٍ، وقلت له:

- عن أيِّ كتابٍ وميتٍ تتحدث؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الخاتمة:

الحقيقةُ: هي ذلك الشيء الذي يقبع داخل أعماق النفس، لا نكتشفها إلا في لحظة ألم، نرى مِن خلالها أشياءً عاشت معنا منذ الطفولة، بقيت عالقةً بأنفسنا، نعمل بها ونظنُّ إنَّنا لا نعمل، لكنها تبقى تُسَيُّرُنا كيف تشاء، وتُحَرِّكُنا بكلِّ الاتجاهات، الماضي التعيس ملامحُ لمستقبلٍ مُضطرب، يختفي وراء ستارِ الروح، نواقصُنا كثيرة لدرجةٍ لن تتصورها، وهناك أشخاصٌ سيكشفونها عاجلًا أم آجلًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

إهداء

مقدِّمة:

1

2

3

4

5

6

7

8

9

10

11

12

13

14

15

16

17

18

الخاتمة:

الفهرس..